فاروق سلوم

الكتابة على صفحة بيضاء

الكتابة على صفحة بيضاء

مقالات في ثقافة الطفل

الكتابة على صفحة بيضاء.

فاروق سلوم

الطبعة الاولى ١٩٨٦

الناشر: دار ثقافة الاطفال
العراق - بغداد
ص . ب ١٤١٧٦

سلسلة دراسات تصدر عن قسم البحوث والنشر
في دار ثقافة الاطفال
المدير العام رئيس مجلس الادارة : فاروق سلوم
سكرتير تحرير السلسلة : فاروق يوسف

الكتابة على صفحة بيضاء

الفصل الأول
قيم مستقبلية وأخرى منقرضة

الفصل الاول

قيم مستقبلية واخرى مفترضة

أدب الاطفال : القيمة والمستقبل

مقدمة

في ظل اي نمو باتجاه التطور لابد لمواقف وقيم الافراد من التوافق مع هذا النمو وتتخذ صيغ التوافق اشكالا شتى بالضرورة ، تغييرات فاصلة في المجال الذاتي للفرد ، والمجموع معا، وذلك في اطار التوجه المركزي نحو تثبيت (القيم الجديدة) التي تكون مركز عملية التربية والتثقيف الثوريين (وعندما نعتبر الانسان قيمة عليا وهدفا كبيرا لانقصد بذلك ان يكون معزولا عن المجتمع في الحركة وفي العمل ، وفي التضامن الجماعي.. وانما ننظر اليه كقيمة وهدف ضمن تطور المجتمع ، وعلى

اساس تضامن هذا الانسان مع المجتمع وقيم العمل الجماعي ـ الرفيق صدام حسين ـ الثورة والتربية الوطنية) ..

لابد من الاشارة هنا، الى ان التوافق القيمي بالصيغة المؤشرة سالفا، لايتم طوعيا في الغالب .. انما يستمد مؤشراته من خلال ممهدات حركة النمو، واعلامها وبرامجها التربوية وحركة الثقافة، ودليلها النظري الذي يشكل الفاصل الحقيقي بين القيم البالية .. وبين القيم الثورية الجديدة، ومن المفيد ان نذكر بان مجموعة القيم الجديدة التي يراد تثبيتها في حركة النمو ليس فقط، تلك القيم المستمدة والمنتقاة من الواقع الاجتماعي والثقافي والتربوي السالف، بصيغة متطورة، بل تلك القيم ذات الوقع «المفاجىء» المتوافق مرحليا مع المواقف السياسية والاجتماعية المستجدة مستوعبة لشروطها المرحلية ومستوفية بعدها الستراتيجي. ومن هنا تتخذ القيمة «المستقبلية» موقعها الخاص في تسلسل القيم التربوية الجديدة» لمالها من اهمية بالغة في بناء جيل متفتح باتجاه المستقبل، قابل لاستيعابه بشكل ابداعي فعال، لقد كان المربون والكتاب التقليديون يجدون صعوبة بالغة في جعل الاطفال يتعرفون على القيم الواردة في كتاباتهم ومناهجهم التعليمية لاسباب تتعلق: اما بجهل التقليديين انفسهم بشروط التوجه للاطفال او لانهم كانوا يتعاملون مع الطفل بالصيغ نفسها التي يتطلبها التوجه نحو الكبار، مما كان يستدعي دائما شخصا ثالثا يقوم بالمساعدة: كأن يكون الاب او الام او الاخ الاكبر، للمساعدة على الفرز بين القيم الخيرة او القيم الشريرة،

واذ يجد علماء النفس والتربية ـ الآن ـ ان الاطفال يشكلون عالما طيعا للتشكيل والبناء ، فان المتوجهين بالكتابة للاطفال صاروا يعرضون العالم الحقيقي لجمهور ناضج مستعد ـ عبر ـ معطيات العصر الراهن ـ لاستيعاب القيم الجديدة ، التي تتسم بطبيعة نفسية تساعد الطفل من اجل تحقيق ذاته والعالم المحيط والتفاعل معه ، لامن خلال سلم متسلسل « للقيمة » وتوافقها مع مراحل نموه ، حسب انما عبر التناقض الموضوعي الذي تنتظم فيه القيم ذاتها.

نظرة تاريخية

لم يتفق علماء الاجتماع الغربيون البرجوازيون حتى الان على صيغة تاريخية لدراسة مراحل نمو وتطور ادب الاطفال واهدافه ومضامينه وقيمه ، كما انهم لم يتفقوا على مصير تراث قرنين من الزمان يقع بين القرن الثامن عشر .. والقرن العشرين ذلك لانهم تناولوا ادب الاطفال بالدراسة بمعزل عن علاقته بالادب الانساني ، معتمدين الموروث الشفهي والمكتوب من اعمال كثيرة برزت خلال القرنين السالفين اتخذت من الاسطورة والخيال ، والملوك والامراء ، مضامين اساسية متجاهلة الطفل واهتماماته كما يعتقد هؤلاء ان ادب الاطفال هو مهمة محدودة في توجه اجتماعي ضيق لاكتشاف الطفل ،

لذلك فانه حسب تقديراتهم ، نشاط ادبي مستقل تجوز الكتابة فيه عن موضوعات شتى قد لايسمح بالكتابة فيها للكبار وهذا موقف شائن ، ومتشابك ، لم تستطع الكثير من الدراسات والاتجاهات الادبية من حسمه حتى اليوم ، لان (ادب الاطفال يعيش وينمو بمعزل عن واقعية الكبار وادبهم).

لقد استطاعت بعض تجارب الدول النامية من حسم هذا الامر منذ وقت مبكر ، واعتبرت ادب الاطفال فرعا اساسيا من فروع الادب يتأثر به وينمو مع نموه ، ويثريه ، مرتكزا الى « الواقعية» باعتبارها وسطا ملهما للكثير من الاتجاهات الادبية الحديثة .

لقد فات العديد من المهتمين بشؤون ادب الاطفال ، ان الفترة الواقعة بين القرن السابع الميلادي وحتى فجر الثورة الصناعية ، لم تكن قد تمخضت عن فهم واقعي للطفولة وظلت مؤثرات النظرة القديمة باتجاه الطفل التي تعتبر القصور شكلا من اشكاله ، وتقيم كيانه من خلال علاقاته الاجتماعية والاقتصادية والدينية بالوسط الاجتماعي او القبلي الذي ينتمي اليه .

ان الادب الشفهي والمكتوب عبر تلك الفترة الزمنية انطوى على تجاهل صريح للطفل ، ووضعه في مكان غير صحيح وعندما كانت ترد الطفولة بصيغ لاتمت الى البشر في العديد من الاعمال المبكرة . وباختصار ، نستطيع القول بان القرن التاسع عشر كان مؤشرا حاسما لظهور « الطفل » كمركز انساني داخل العائلة ولما اولته الطبقة الوسطى من اهتمام ولتقدم موقع المرأة كقوة فاعلة اجتماعيا واقتصاديا. وللدور الذي لعبته الافكار والفلسفة

التي عرف بها القرن والتي كان من روادها البريطاني جان لوك ، وجان جاك روسو الداعي الى تكوين عادة الفكر منذ وقت مبكر لدى الاطفال. وما اولاه الكتاب مثل : وليم بليك ، و وور دزوورث ، وآخرين من الادباء الرومانتيكيين من تأثير بالغ في خلق الخطوط الاولى لادب اطفال ناضج ورغم ذلك فان النماذج الادبية والمناهج المتوجهة للاطفال والتي انضجتها العوامل السالفة ظلت تبرز الطفل على انه « راشد صغير » لذلك لم تتحقق كلية متطلبات مرحلة النمو الاولى لادب الاطفال وظل ينمو نموا بطيئا حتى الى مابعد الحرب العالمية الثانية حيث بدأت الكثير من اقطار العالم الثالث في اميركا اللاتينية وبعض الاقطار العربية تولي قضية التوجه للاطفال اهتماما خاصا انعكس فيما بعد على تطور تقنيات الكتابة والتصوير ، والطباعة ، متمثلة في سيل غامر من المطبوعات والاتجاهات التربوية والتعليمية والثقافية والاعلامية .

قوتان

تتخذ « القيمة » طريقها الى الطفل عبر مسارين مهمين هما مركزا التوتر الابداعي لديه :

الأول : مجموعة القيم الاجتماعية والاخلاقية.. والوطنية والتي تنضجها العائلة ، والنظام ، وتطورها المراحل الدراسية اللاحقة وهي مجموعة القيم المباشرة الصريحة .

الثاني : مجموعة القيم التي يستلهمها الطفل من

معايشته الذاتية واكتشافاته الخاصة سواء كان ذلك من قراءته لاشكال ادبية مختلفة تثري فيه روح الخيال او بالممارسة التي تبني لديه قيم الدفاع . والانفعال والمماثلة ، وبالرغم من البعد الشاسع بين (الشكلين) فان المناهج التعليمية (كنصوص) والقراءات الاختيارية وتأثيرات العائلة ، والاكتشافات التي يجريها الطفل ، تلتقي في الكثير من النقاط الاساسية باتجاه إنماءمدارك الطفل وقيمه .

ان الشرط الاساس لتلاقي هذين المسارين هو توفر برنامج متكامل تنهض بمسؤولياته كافة المؤسسات ذات العلاقة واهمها العائلة . ان السمة الاساسية لادب الاطفال هو قابليته المرنة على اعطاء الطفل دورا (ديناميا) في اثراء الحياة وبناء خصوصيته في اطار الخصوصية العامة والمشاركة في الفعل الاجتماعي والنشاطات العامة باختيار ذاتي متوافق مع ذات المجموع ، بالتقابل مع دور المدرسة التي (يمتثل) فيها الطفل ايجابيا لشروط وقيم واخلاقيات يفرضها (النظام) ويعززها (القانون) وهما عنصرا كشف اول التزامات المواطنة رغم انهما يمثلان بطلين حقيقيين في مراحل الطفل الاولى ، لما يتمتعان به من قوة وضبط ، ويمكننا هنا ان نقول بان هناك عددا كبيرا من الكتاب والمعلمين ، والادباء غير القادرين على التصرف في حالات تصارع القيم لدى الطفل بشكل مكشوف وذلك خوفا من فقدان سيطرتهم على الموقف او تحاشيا لمواجهة النقد ، والاستجابة والرفض المطلقين ، التي يبديها الطفل حيث ان من المعروف ان الطفل يجد امام البالغين فرصة تعلم هذا النوع الجديد من المواقف

(النقد ـ الاستجابة ـ الرفض) لذلك لابد من ان نضع بالاعتبار جملة امور نعتقدها حاسمة في مثل هذه المواقف :

١ ـ ان القيم هذه ، لها اهداف محددة تؤثر في ثقافة الطفل وتجعله يفكر بشكل نقدي بالامور المعقدة والمهمة بالنسبة له .

٢ ـ ليس من الضروري الاصرار على ضرورة تغيير موقف او رأي الطفل في الحال انما الترشيد باتجاه المسار الصحيح في تقييم الامور ، موقف مطلوب .

٣ ـ التأكيد على الطريق السليم في التفكير تحاشيا لوقوعهم في منزلق الايمان الاعمى بافكار او باشخاص او روايات او افعال تتبلور فيها حالات الصراع بين القيم في داخل الطفل وخارجه ويجد فيها اختيارا عاطفيا سهلا .

لقد اثارت القيم الجديدة في ادب الاطفال مشاكل تربوية شائكة لدى المهتمين بالطفل ، لكنها اثبتت بشكل قاطع ان ادب الاطفال (كمناهج دراسية ، او مطبوعات او حكايات منقولة) يرتبط ارتباطا وثيقا ببنية النظام : سياسيا واجتماعيا وثقافيا. وان الطفل مخلوق واقعي يشترك في الوعي بقدر او بآخر ـ مع الكبار في امور الحياة وتطورها. وعندما نعتمد الواقع في توجيه القيم الجديدة مع تأكيد شديد على ان شروط الكتابة الكلاسيكية (الحبكة،تطور الحدث ، الحوار ، الشخصيات ، المضمون الواضح .. الخ) فلأنها تستطيع ان تنهض هي الاخرى بهذه المهمة ، وتساعد على تطوير تقنيات جديدة في التوجه الى جمهور الاطفال مستندة الى ارضية فيه مشتركة ، هي تلك التي تستند اليها تقنيات الادب الانساني .. واساليب الاتصال الجماهيري .

من يخلق القيمة

في ادب الاطفال كما في ادب الكبار تجيء القيمة بصيغة متطورة من الجوانب المضيئة والمشرقة في واقع سالف اصبح هدفا للتغيير والبناء بفعل ثوري جديد ونستطيع ان نضع ايدينا على نماذج من هذه القيم عاصرتها الاجيال ، ففي المناهج الدراسية القديمة كان التأكيد على صيغة الانتماء القومي (كقيمة) متمثلة في تعبير (عربي) ولكنها لم تستطع ان تحقق فينا وعيا كافيا لدلالاتها والواجبات المترتبة عليها. ولكن القيمة الجديدة والمضافة ، ففي (الوحدة التي تجسد الانتماء القومي بصورة مميزة ذات دلالات في المسؤولية والقوة والحصانة والاعتزاز) اننا نريد من الطالب ان يفهم اولا تاريخنا العربي ، ويفهم تاريخ العراق ، في تاريخه القديم والحديث والعراق كجزء من الوطن العربي ، وبعد ذلك نتحدث عن التاريخ ونؤشر مساراته بالاطار الذي ينمي قيم الطالب والانسان ضمن المجتمع باتجاه مبادىء الحزب ، ومنها النضال من اجل وحدة الامة العربية ، وتقوية وحدة العراق ـ الرفيق صدام حسين ، الثورة والتربية الوطنية ص (٢) وهناك القيم التي تولد بفعل ردود فعل الطفل التي تخلقها معايشته للواقع واحتضان المجتمع له وتوفير احتياجاته وابرزها قيمة الامن الانفعالي ، تلك التي تشعره بالامن ازاء اي نوع من انواع الخوف غير الناتج عن تعرضه للاذى ، وذلك بفعل تحسسه للاستقرار .. والحماية الغامرة ، وعندما يكون الطفل (رجل المستقبل وان الثروة القومية البشرية تبدأ

بالطفل) فان تأشير القيم الجديدة على ضوء واقع الثورة وحركتها المتصاعدة والعمل والتحصن بها امر يحدد بالضرورة . صورة المستقبل وشروط اعتماد سلم متسلسل للقيم التربوية تنشئة وتثقيف الاطفال .

القيمة والمستقبل

ليس صحيحا الاعتقاد السائد لدى البعض بان ادب الاطفال « كفن من الفنون » لم يستطع اثبات موقعه في حركة الادب الانساني لانه اعتمد قيما مرحلية وليس صحيحا اتخاذ الادبيات الاولى نماذج للتدليل على ذلك .

انما المطلوب عدم اغفال ان جانبا سياسيا في تطور القيم ونموها هو الذي يعطي القيم التي يعرضها ادب الاطفال موقعا متقدماً في التربية والتثقيف وذلك هو (التناقض) بفعل الواقع النامي بالاتجاه العلمي الصحيح ، ومثالنا على ذلك ان قيمة « الهجوم » في اطار التربية باتجاه تحرير الارض المغتصبة قد تصبح قيمه مناقضة لواقع مابعد التحرير ولكن الواقع المستجد هو الذي سيخلق القيمة المناهضة .

ان اي تحديد للاحتمالات السلبية ـ مستقبلاً في عملية تعميم (القيمة) يلغي القيمة ذاتها على صعيد الماضي و. الحاضر والمستقبل ذلك لان خلق القيم وتعميمها ليس ضربا من ضروب الارتجال انما معطى من معطيات واقع فعال وواع .

ان الرؤية المحافظة هي التي توقع العديد من المهتمين بسقطات مؤثرة في صياغة الموقف العلمي السليم سواء اكان من ادب الاطفال او قيمه او مميزاته او في تصور مستقبلها مجتمعة .. ان قيام النماذج الادبية اللاحقة بمهمة تنمية العقلية المتفتحة وعرض النماذج الماهرة في حياتنا واهمية ذلك في التنمية وبعث روح التفاؤل والتطلع والايمان بان المستقبل سيكون افضل ستجعل من المتلقي « الطفل » اكثر استعدادا لاحتمالات الغد ، واكثر قدرة على التكيف واطلاق طاقاته الابداعية بما تيسر له من قيم موروثة .. وقيم جديدة .

ب

التدريب على القيم

في اية عملية تحليل للمحتوى ، ونحن ازاء الاعمال الادبية المقدمة للاطفال ، لابد من وضع اعتبارين هامين ، هو ان الطفل لا يستلهم القيمة من التأثير المباشر للموضوعات التي يسمعها أو يقرأها فقط ، بل من خلال ممارساته الحياتية التي تعني الكشف وزيادة الخبرات لذلك فاننا لابد في عملية التحليل من اكتشاف ومعرفة مختلف القيم المطلوب ايصالها الى الطفل عبر عمل معين ، مكتوبا او مرئيا... او مسموعا.

لقد افردت المدارس التربوية اهتماما خاصا لهذا الجانب واكدت حقيقة مفادها هي القيمة المطلوب تكريسها في ذهن الطفل ينبغي ان تأتي متوافقة مع تجربته ومع انعكاس بيئته اولا وان تكون غير متناقضة مع قيم مشابهة لها، رغم اهمية الصراع بين القيم بالنسبة للطفل . فبين قيمتي الخير والصداقة علاقة وطيدة ، وبين الخير والشر علاقة محورها التناقض والاختلاف .

وفي مرحلة ماقبل المدرسة ، يستدعي التوجه الى الاطفال بقيم مكتسبة في معرفتها من الواقع الاجتماعي ، ومن طبيعة هذه المرحلة . ان قيما مثل الصداقة ، واللعب والضحك ، والنظافة والبهجة والفرح والصدق .. اولى من الكثير من القيم التي تبدو بالنسبة للطفل قيما مجردة مثل (الاقدام ، والكبرياء) وهي قيم لها مرحلة لاحقة في

الاعداد . وليس من شك ان القيم الوطنية والقومية يمكن ترسيخها في ذهن الطفل عبر عملية ربط بين البيت والوطن . ان توفير الامان للطفل امر يفضي بالنهاية الى الشعور بالمواطنة وبحماية الوطن له .

لقد حرص الكتاب والمربون على قضية مهمة في التوجه للطفل هي قضية الوضوح في المخاطبة ، ودفع الطفل الى تقوية نهجه في الاكتشاف عبر التجربة التي تيسرها له القيمة او الموضوعة التي يراد تكريسها في ذهنه . ان اكتشاف الخير لايأتي عبر النماذج التي نحكيها له ، بل من خلال النهج التجريبي الذي ندفعه اليه بغية المعرفة ، واكتشاف النتائج ، وتوقعها كما ان للقيم المستقبلية اثر في ترسيخ التفاؤل وانماء البصيرة لديه ، ويتأتى ذلك من خلال التأكيد على ان المستقبل سيكون افضل سواء اكان ذلك من خلال الاستعانة بالتحولات التي تطرأ على مفردات البيئة مثل الاشجار والازهار .. والحيوانات ، او الاقران . او من خلال التأكيد بان الطفل سوف ينمو ويصبح مثل من سبقوه .

ان ترسيخ القيم يتأتى من خلال الحواس الاساسية . السمع ، والرؤية ، ومن خلال الممارسة .. ولكنها مجتمعة تفضي الى تكريس ماتصبو اليه في عملية التربية .

ونلخص هنا بعض القيم المهمة . المطلوب الاشارة اليها:

١) الروح الجماعية وحب التعاون والمشاركة مع المجموع .

٢) تأكيد الصفات التي تجعله جديرا بالحب

والاحترام مع اصدقائه مثل اللياقة ، واللطف ، والنظافة والصدق والهدوء .

٣) الادب ، التسامح واقامة العلاقات الطيبة مع الاصدقاء .

٤) حب الاسرة والاخوة والاخوات .

٥) حب الوطن وذلك من خلال دفع الطفل الى المحافظة على الادوات والوسائل التي نوفرها له

٦) الصدق وقول الحقيقة .

٧) سماع كلام الاب والام من خلال تأكيد قيمة الطاعة .

٨) تأكيد قيمة العمل وذلك بالاستشهاد بالنماذج الحرفية . نجار ، حداد .. الخ .. اولا ، ثم الاعمال الاخرى .. طبيب .. مهندس .. طيار

٩) التوجيه نحو الاقتصاد بالمحافظة وعدم اتلاف الاشياء .

١٠) النظافة في الاكل والشرب والملبس . وتأكيد اهمية الاستحمام .

١١) التحفيز على التعبير الذاتي وتوفير وسائل مختلفة بين يدي الطفل لبناء وانشاء وتنفيذ الاشكال التي تعوده على التعبير الذاتي .

جـ

القيم القومية والوطنية والطفولة المبكرة

ان الهدف المركزي للتربية منذ النشأة الاولى للمجتمع الانساني هو بناء الانسان الذي يستجيب للارادة الاجتماعية ويواكب مسيرة الحياة بشكل ايجابي خلاق ، وقد تفرعت عن هذه الرؤية المبدئية للتربية تيارات واتجاهات هي في جوهرها، ومهما اختلف أسانيدها، لاتخرج عن هذا الاطار في هدفها الستراتيجي وفي الفهم المبدئي لأهداف التربية . وقد درج العديد من المربين والمهتمين بشؤون التربية على ترديد مقولات تدعو الى الاستجابة للطفولة ونزعاتها، والانجرار وراء عالمها الرحب المليء بالخيالات دونما تردد بهدف تقديم صورة للحياة تؤطر الطفولة بسعادة غامرة ومرح اكيد وهذا اتجاه فيه الكثير من الرومانسية والمفاجآت لمتطلبات الحياة التي اتسمت بالسرعة والنفاذ والتحول ، بشكل يستدعي الاحاطة بحقيقة اساسية هي ان الطفولة ينبغي ان تظل على اتصال مباشر بوقائع الحياة واتجاهاتها واحداثها بما يتوافق مع مراحل الطفولة ، وقدراتها ومميزاتها، اي ان وضع الطفل في موقع المسؤولية والوعي وتدريبه عليهما امر يوفر بناء شخصية مميزة متوافقة مع الواقع ، مع ابداء قدر متساو من الرعاية الوجدانية لاتجاهات الطفولة ونزعاتها.

الطفل والبيئة

ان الاطفال لاينفصلون عن جمهور البالغين بحدود حاسمة بحيث يمكن الفرز بين مايقدم للكبار وبين مايتلقاه الصغار اليوم ، ذلك لان مفردات الحياة المعاصرة وتفصيلاتها على ماتتمتع به من الدقة ، وعلى مانتمتع به نحن من قدرة على التحكم فيها فانها قريبة من الصغار ، فهم شهود احداث البيت والشارع ، ومشاهدون دائميون خلال اكثر ساعات البث التلفزيوني وهم احرار في تصفح مايشاؤن من المطبوعات التي يتداولها الكبار ، وهم اكثر تفحصا للصور التي تستعرض مختلف اوجه الحياة السعيدة ، واكثرها بشاعة جراء الاحداث التي تعصف بالعالم وهم اكثر المخلوقات مقدرة على ابتداع الاسئلة والاستفسارات التي كثيرا مايستعصي على الكبار الرد عليها، فحين تعرض مشاهد العنف ، وحين تنشر صور القتلى ، وحين يصيح الاب انفعالا بوجه احد افراد العائلة ، فان ملامح الطفل وتألق عينيه بحنين عجيب ، يعبران عن استنفار استثنائي لكل مشاعر الانفعال والدهشة والاستفسار التي تصور لنا انطباعات اولية عن استجاباته وردود فعله امام مواقف تبدو نهائية ومحسومة في شدتها وفي وقعها.. وهكذا الامثلة عديدة لتأكيد اهمية الطفل في الوسط العائلي ، فهو متأثر بهومساير له ، بشكل يجعلنا نتصور حجم التأثير الذي ينعكس على الصغير من خلال مانفعله نحن الكبار ، لذلك فان الموضوعات التي نعتقد انها كبيرة بالنسبة لمداركه ، معقدة قياسا لمقدرته

تستدعي منا قدرا من التروي في اصدار الحكم النهائي بشأنها، ليس للقول بان الطفل « راشد صغير » كما يعتقد البعض ، بل لتأكيد كونه مخلوقا يتشكل معنا ووفق ما تمليه تجاربنا حتى لو اخضعنا تربيته لاكثر المناهج تخصصا واكثرها عزلة عن عالم الكبار . ان صيغا وعبارات سياسية وافكارا ثقافية ، ومؤثرات ، وعبارات شتى معلقة فوق الجدران ، معروضة في التلفزيون ، مسموعة في الاذاعة ، صاخبة في التظاهرات ، مرددة في النشيد الذي يتلقاه او يسمعه في دار الحضانة او في الشارع ، او المدرسة المجاورة ، وتشكل هذه المفردات جراء تكرارها ركيزة اساسية من ركائز لغته ، وحركة فكره ، ومصدرا ملهما، للعديد من الاسئلة والاستفسارات ، ومن هنا يأتي السؤال ..؟ هل تستطيع عزل الطفل عن هذه الوقائع اليومية ؟ واذا كنا نستطيع ذلك فهل يتوافق ذلك مع ارادتنا في تربية قدرات الطفل لكي يعرف مكانته الاجتماعية ، ويدرك مقومات هذه المكانة بالتدريج حتى يتحسس مكانته بين ابناء الامة التي ينتمي اليها وهل يتوافق ذلك مع توجهنا نحو خلق قاعدة للأيمان بالواجبات والحقوق والحفاظ على الممتلكات ، وصيانة القيم واحترام التربية ؟ ان هذا يعني وضع الطفل وسط تيارات البيئة ومؤثراتها بقدر كاف من الرعاية والتوجيه ، والعناية لذلك فان القيمة القومية والوطنية لاتنفصل عن الف باء التربية باعتبارها نواة بناء الشخصية القومية التي تعرف واجباتها وتحترم مكانتها الاجتماعية ، التي هيأناها له عبر وسائل التربية التي اعتمدناها في اعداده .

الطفولة المبكرة وامكانية التشكيل

تتسم مرحلة الطفولة المبكرة باستعدادات كبيرة للنمو في مجال بناء الشخصية وتطورها، كما تتحد مكوناتها الاولية بشكل يتصل بمستقبل الطفل ، ويمكننا استنتاج الكثير من خلال المميزات التي يعكسها طابعه الشخصي وميوله وتكونه النفسي المتمشي مع تكونه ونموه الجسدي ، ملاحظين اقتداره في النشاط والحركة . وقدرته في الاستماع ، والحفظ والترديد والاكتشاف والملاحظة ، مما يجعلنا نتعرف الى حقيقة اقتداره على تفهم البيئة الاجتماعية المحيطة . ومن المعروف انه كلما اتيح للطفل وضع نفسي يؤهله للاستيعاب والتأثر والمواكبة ، فاذا كانت السنة الاولى مجالا لنمو نشاطه الحركي ، واحساسه بالملموسات فان السنة الثانية التي يصبح فيها مؤهلا للسير تضعه بالضبط وسط التجربة الاجتماعية لانه يصبح اكثر اقتدارا على الاتصال بالعالم المحيط ، مما يتيح له فرصة تعلم بعض تقاليد الكبار ، واستيعاب بعض مفرداتهم مع نطق ميسر نسبيا للكلمات التي اتيح له تعلمها خلال هذه المرحلة ، ان اقتدار الطفل على مسايرة عالم الكبار بين السنة الثانية والسادسة

يمكنه من امتلاك قدرات عقلية ديناميكية بشكل ينعكس على ادائه وسط المجموع ، وتبرز خصائص الانفعال

والتحليل الاولي والتصور ، الى غير ذلك من الميزات التي تتصل بمرحلة الطفولة الاولية . ويمكن ايجاز ابرز خصائص هذه المرحلة بالنقاط التالية :

١ ـ الحركة وحب اللعب والميل الى التوقيع .

٢ ـ نمو اللغة وقدرة على التلفظ والنطق نسبيا.

٣ ـ حب تحسس الاشياء والتعرف إليها .

٤ ـ التعرف الى الوسط الاجتماعي المحيط.

٥ ـ حب الاكتشاف والتعرف الى علاقات الاشياء ببعضها.

٦ ـ نمو الذاكرة ، والبصيرة الاولية .

٧ ـ التأثير والانفعال .

٨ ـ الميل نحو تفتيت الاشياء .. او التمزيق .

٩ ـ التقليد والمحاكاة ، التحايل .

١٠ ـ الاصرار والارادة .

١١ ـ الاستعداد للتعلم واكتساب المعرفة .

ومع دراسة هذه الخصائص نستطيع ان نتبين مدى استعداد الطفولة في هذه المرحلة ، واهليتها للتربية والتعليم ، واستيعاب القيم التي تشكل القيم القومية والوطنية ركنا من اركانها.

كيف نعرض القيم القومية والوطنية

ترد الكثير من الاراء حول اهمية التنشئة الوطنية والقومية ودورها في بناء الشخصية ، وتتوافر التعريفات والتفسيرات لكنها ظلت حبيسة التجريدية ، وعدم الاقتدار على تقريب المثال المناسب ، وقد ورد في الكثير من الدراسات التي اطلعنا عليها استعراض لافكار وقيم تتحدث عن الوطن ، ووحدة التراب ، والعدو وغير ذلك دونما تفصيل في وسائل التنفيذ او في الكيفيات التي تصنع تلك القيم في سياق التنفيذ المتوافق مع مرحلة الطفولة المبكرة ، ونورد هنا محاولة في تعريف القيم القومية والوطنية وحصرها من خلال دراسة تناولت القيم السائدة في صحافة الاطفال ، نتفق معها في الاطار النظري :

١ ـ الوطنية ـ حب الوطن :

الاهتمام بخير الوطن ومصلحته ورفاهيته وتقدمه ـ الولاء والاخلاص للوطن ـ الروح الوطنية ـ الحنين للوطن وصعوبة الابتعاد عنه ـ مصلحة الوطن فوق كل شيء ـ المحافظة على اسرار الدولة .

٢ ـ حرية الوطن ـ استقلاله :

حرية الوطن ـ تحرره ـ وطن غير مسيطر عليه او متدخل في شؤونه ، يملي ارادته بما يتلاءم ومصلحته ـ وطن ذا سيادة ـ وطن غير مستعمر .

٣ ـ الوحدة العربية :

ـ وحدة الارض العربية ـ وحدة الاقطار العربية تعاون الاقطار العربية ـ توحيد جهودها وطاقاتها وتكاملها ـ التاريخ ـ التراث .. الى غير ذلك من الاطر العامة كما ترد تصنيفات عديدة لاتخرج في اطارها العام عن السياق الذي استعرضناه في تعريف المقصود المباشر بالمعنى الذي تنطوي عليه القيم القومية والوطنية ، انها بصيغتها التي استعرضناها لاتتم الا عن تجريد وطرح فوقي لو تعرض لها الاطفال في مختلف سني حياتهم . كما انها لاتضع المربي أمام اية خبرة عملية لايصال هذه القيم والتعبير عنها، اننا اذا حاولنا هنا الاكتفاء بتأكيد اهمية القيم هذه ، عبر عبارات محكمة فاننا لم نفعل سوى الترديد النمطي لما قيل ويقال ، ولذلك سنحاول هنا اقتراح بعض الصيغ التي نجدها مناسبة :

١ ـ الاحتفالات :

يحتفل الوطن والامة العربية بعدد من الاعياد والمناسبات الوطنية والقومية ، وهي مناسبات تشكل فرصة لاطلاع الطفل على مختلف النشاطات الجماعية من حفلات وتظاهرات واستعراضات عسكرية ، غير انه من الصعب والعسير جدا، على طفل مرحلة ما قبل الدراسة فهم معنى ومضمون كل الاعياد التي ترتبط باحداث وتواريخ ورموز يدركها الكبار لذلك فانه من المناسب في حالة اقرار صيغة الاحتفالات التي تسهم فيها دور للحضانة اختيار مناسبتين او ثلاث ، مثل العيد الوطني والسابع من نيسان وتنظيم الاحتفال بها داخل دور الحضانة بشكل مكثف يستجمع اهتمام الاطفال بما

يحتويه من اناشيد واغاني ، او نشاطات والوان ولعب وهدايا، وطعام كما يعرب عن معان يكتسبها الطفل باستمرار هذا التقليد خلال وجوده في الدار ، كما تكتمل صيغتها من خلال معايشته الجماعية ، عبر العائلة ، واجهزة الاعلام ، والمشاهدات الحية .. مما يكون لدى الطفل مخزونا من الرموز والدلالات ، والقرائن الموحية بالمعنى ، والمبهمة ايضا حتى يتاح له بالتدريج باستلهام الكثير من القيم والمعاني المتعلقة بمعنى هذه المناسبات واهميتها.

ان اختصار الاحتفالات في دور الحضانة على اعياد مركزية دون اثقال الطفل باعياد مثل : عيد العمال ، والطالب والمعلم وغيرها من المناسبات التي تزحم فكره بمعلومات مشوشة ، رغم انها مناسبات موحية بالبهجة ، سيتيح للطفل فرصة للتمييز .. واستلهام المعاني .

٢ ـ الالعاب

يتخذ اللعب موقعا مميزا في اعداد الطفل بدنيا ونفسيا، فمن خلال اللعب يكتشف الطفل واقعه المحيط ، وكلما اقترنت الالعاب باهداف محددة يحققها الطفل ويلمسها كلما اتخذ اللعب وقعُه المميز في حياة الاطفال داخل الدور .. او وسط العائلة . وانطلاقا من هذه الرؤية نقترح مايلي :

١ ـ جمع وتوفير الالعاب الهادفة ذات العلاقة بالامان والدفاع والحقوق ، والبيت ، والعائلة ، والاخوة ،

والصداقة .. الى غير ذلك وتلخيصها وتيسيرها للمربين .

٢ ـ اعتماد الالعاب التي تفي باغراض اللعب الجماعي .

٣ ـ اختيار لعب البناء ، ورشة ، بيت ، قرية ، مدينة ، وطن واختيار الحراس ، والجنود والاطباء والمهندسين ، ورافعي العلم والمغنين ، ورجال الاطفاء وسائقي الاسعاف ، ضمن حكاية تتضمنها اللعبة حول مدينة تتعرض لاي حدث ، ويهب الجميع للقيام بالدور المنوط بهم .. مما يجعل الطفل يتعرف الى الاختصاصات وينفعل مع مايؤديه بما يشكل نواة للواجبات التي تقتضيها حياته في الورشة او المدينة .. او القرية الى غير ذلك .

٤ ـ لعبة السير ، سيارات ، وشوارع ، ونقاط تقاطع ، وشرطة مرور ، شيوخ وعجائز ، واطفال ، وطلاب مدارس .

٥ ـ لعبة العدو .. والفدائي .. ضمن قصص يمكن ربطها بما ورد في الفقرة اولا ..

٦ ـ القصص المحكية او المغناة ، والوسائل السمعية والبصرية وقدرتها على التعبير ونقل الافكار وخلق الصور بشكل يفضي الى تكريس تصورات اولية حول قيم الدفاع والاخلاص والامانة والحفاظ على الممتلكات ، والاقتصاد والادخار والمحافظة على الاشياء .

٧ ـ الاغاني والاناشيد ـ من المعروف ان طفل هذه المرحلة ميال الى الترديد والتوقيع ، لذلك نجد أن توحيد اغاني وانشاد دور الحضانة وطبعها وتنظيمها وفق سلم قيمي مدروس ومتوازن بحيث يشمل مفردات البيئة

القريبة والمتوافقة مع مداركه ، مع تسجيل تلك الاغاني بعد تلحينها وتنويع وسائل حفظها داخل الدرس او في حفلات الاداء الجماعي .. والمناسبات ، بشكل يكرس القيم المراد ايصالها الى الطفل .

٨ - الكتب المصورة : تفتقر تجربة دور الحضانة في القطر الى هذا النوع من المطبوعات. الذي يتميز بخصوصية فنية في انواع الورق والطباعة والمضامين التي تعرف ، بالبيئة ، والحيوانات .. ومختلف المفردات التي تحتويها البيئة القومية ، وهي وسيلة تربوية مهمة تساعد كثيرا في انماء خبرات الطفل .. وترفده بالكثير من عوامل المعرفة .

اننا • اذ نستعرض هذا الامر في المفردات التي اوردناها، انما نتمنى ان تأخذ مداها في الحوار ، او الاقرار .. ورسم وسائل تنفيذها بالشكل الذي يوصل الى الاهداف المرسومة .

مصادر البحث

١ - القيم السائدة في صحافة الاطفال العراقية - خلف نصار محيسن الهيتي - ١٩٧٨ بغداد

٢ - مدخل الى علم النفس - د. صالح الشماع - بيروت ١٩٧٨.

٣ ـ علم النفس ومشكلات الفرد ـ عبدالرحمن محمد عيسوي ـ منشأة المعارف ـ الاسكندرية .
٤ ـ جمهور الاطفال ـ فيليب بوثار ـ ١٩٥٣.
٥ ـ القيمة والمستقبل ـ فاروق سلوم ـ ندوة صحافة الاطفال في الوطن العربي ١٩٧٧ ـ بغداد .
٦ ـ الطفل والسياسة ـ عبدالتواب يوسف ـ حلقة الكتاب ١٩٧٨ ـ القاهرة .

د

الرمز في ادب الاطفال

الرمز

في مرحلة الاستقرار الاولى تعرف الانسان الاول مرة على الظواهر الطبيعية : المطر ، الريح ، الصواعق ، الظلام ، الضوء .. الخ ، كما زاقب حركة النجوم والمجموعات الشمسية وحركة القمر وتغيرات المناخ ، وجعل من تلك الظواهر « رموزا » اولية ، بمعنى بدائي ارتبطت فيما بعد بمعتقداته الروحية او ولائه الديني .

وقد لعبت الاديان دورا كبيرا في تطوير تلك الرموز حتى وصلت مستوى من الاهمية في تعميق المعتقدات .. والتعبير عن الايمان .. فاستخدام الايفونات والبخور .. والشموع الا صورة متطورة لتلك الرموز البدائية التي نمت مع الانسان وتطورت مع تطوره .

ولقد اهتم الشعراء الرومانتيكيون في القرن الثامن عشر اهتماما كبيرا بالرمز . وعلاقة الشاعر الرومانتيكي بالطبيعة وبالكون منحته عددا لايحصى من الرموز التي عبرت بشكل او بآخر عن معان دفينة ومشاعر شتى في تحديد موقف الشاعر وعكس فلسفته في اطار فهمه للعلاقات الانسانية بالطبيعة والكون .

وفي اواخر القرن التاسع عشر ، ظهر في فرنسا الشعراء الرمزيون . الذين عمقوا « الرمزية » في الشعر

باعتبار انه شكل طيع من اشكال الكتابة الفنية ، لذلك يرجع التجديد في الشعر الى هؤلاء لانهم وظفوا الشكل وعملوا على تحويله والتجديد فيه خدمة لاغراض المضامين الجديدة التي عالجوها. ان الدراسات النفسية التي تناولت بالبحث والاستقصاء اشكال التعبير الانساني بالايمان والحركة .. وبالايعاز والتلميح ، اعطت هؤلاء الكتاب مادة حيوية ، وعنصرا مضافا في ابتداع مضامين واشكال جديدة .

وحين تعمق تيار الرمزية في الشعر ، وبحكم العلاقة الموضوعية بين فنون الكتابة الادبية تأثرت الفنون الاخرى تأثرا كبيرا بهذا التيار ، وظهرت الاعمال الدرامية الرمزية . ثم الموسيقى والفن التشكيلي والرواية . حتى بلغ بالعديد من الدارسين والمهتمين بالرمز الاعتقاد بان الفعاليات الانسانية المختلفة ، ووسائل التعبير ، والفنون ، والآداب والتراث الشعبي ماهي الا رموز للحضارة الانسانية عامة . وبقدر مايهمنا من الامر ، نجد ان استخدام الرموز على امتداد العصور ، اتخذ اشكالا متفاوتة تتناسب مع وعي الانسان وبيئته .. ونتاجه الفكري .

ان الرمز بتعريف بسيط يعني : اية علامة او اشارة تدل على شيء موجود ، او معنى مقصود تصله المخيلة ويدركه العقل ..

ففي العلوم والعمليات الحسابية والكيمياوية يستخدم الرمز بما يفيد الاختصار والتركيز ، كما ان استخدام الشارات والشعارات والحروف المختصرة ماهو الا شكل من اشكال استخدام الرمز في الحياة العامة ، وكذا الحال

بالنسبة للفنون التشكيلية والكتابة الادبية ، فان الرمز فيها تعبير عن موقف الفنان والكاتب ، وتعريف يفهمه للاشياء .. وبتقنياته في الكتابة او في تنفيذ اللوحة وهو موقف يستدعي فهمه ثقافة وفهم مناسبين للوصول الى الافكار التي تعرضها الاعمال المشحونة بالرموز .

ان استعمالات الرمز ، انما تؤدي هدفا اساسيا في تحفيز المخيلة ، وفي الكشف عن معان جديدة للعالم كما تعكس موقف الكاتب نفسه .. فالرمز اذن وفق هذا المعيار وسيلة معرفية مهمة تأتي نتيجة تطور الحياة وتعقيداتها.

الطفل والرمز

اشرنا سابقا الى كيفية تطور الرموز واكتشاف معانيها في حياة الانسان ، وكيف لعبت تطورات الحياة دورا في بلورة مدارس رمزية في الفنون والآداب والنشاطات الفكرية الانسانية ، غير ان الذي يهمنا في بحثنا هذا هو « استخدام الرمز في التوجه للاطفال » .

انه لمن الخطأ القول بان الطفل يفهم الرمز بالمعنى الذي اشرنا اليه لانه لايمكن الخلط بين معنى الرمز في حياة الطفولة والرمز في وعي الراشدين .

لقد قلنا في تعريفنا للرمز انه « علامة » او « اشارة » تدل على شيء موجود ، او معنى مقصود تصله المخيلة ويدركه العقل . وعلى ضوء هذا التعريف نحاول ان نصل الى مانريده .

ان الطفل في المرحلتين الطفولة الاولى والثانية يتعرف بشكل او بآخر على مواد العالم المختلفة ، وهو اذ يسعى حثيثا الى التقليد والمحاكاة واقتباس المفردات ، وبناء اللغة ، واذا يسعى الى تعلم القراءة والكتابة ، وتطوير فكره ولغته عبر ماتوفره له البيئة وعواملها الموضوعية في النمو ، انما يتعرف على نماذج متفاوتة القيمة والاهمية بالنسبة لمداركه ، لذلك نستطيع ان نفرز بين نوعين من الرموز التي يتحسسها الطفل في هذه المرحلة ..

(١) الرموز المباشرة .

(٢) الرموز غير المباشرة .

الرموز المباشرة

ان مصادر المعرفة الاولى ولاشك تتوفر عبر التشكيلة الاجتماعية الاولى : العائلة ؛ وتتنافس الطفل في اكتساب حب احد ابويه او كليهما معا، انما يعيش حالة مواجهة مع رمزيّ القوة : الاب - والام . الاب ؛ رمز القوة والقيادة ورب العائلة وصاحب المسؤولية والام ، لأنها مركز العائلة ، ومصدر حركتها الاجتماعية .

ومن خلال هذا النموذج تبدأ تتشكل لدى الطفل الخطوط الاولى لاكتشافاته لرموز الحياة ، فالاب : هو الرمز الاول للثورة والشجاعة .. وربما الخلق ، والام رمز الاتزان .. والدقة .. والتنفيذ .

ثم تأتي البيئة لتعطي الطفل رموزا لاحصر لها ودلالات شتى تعرفه بالعالم وتحفزه على معرفته . فالاسد رمز الشراسة والقوة . والقطة رمز للالفة . والثور رمز النشاط والليل رمز للنوم او الصوت او الهدوء . الى غير ذلك من الرموز الاولية التي يتعرف عليها الطفل في وقت مبكر من حياته ولانغفل لاصوات ـ الاشارة ـ الخ والحركات من اثر بالغ في حياة الطفل في هذه الفترة المبكرة .

الرموز غير المباشرة

اننا لانبالغ اذ نقول ان ذاكرة الطفل خزانة هائلة تمتلىء بالمجهول ، كما تحتفظ بمعلومات واضحة غزيرة . والرموز غير المباشرة تظل بمنأى عن مداركه فترة طويلة سرعان مايجد لها ترجمات ومعاني في مرحلة الرشد واستقرار الشخصية لغتها وملامحها الفكرية .

ان قوانين الطبيعة ، وظواهرها، والمعتقدات الدينية ، تظل رموزا غير مباشرة ، بعيدة عن الفهم ، فالرعد والبرق ، وبريق النجوم والمطر والرياح والله والملائكة رموز يمكن ان تعبر عن حالات شتى خلال المخاطبة لكنها تظل رموزا مجهولة غير مباشرة وغير دقيقة في التعبير ، لكنها رغم ذلك تحتفظ بتأثيرات متفاوتة في شخصيته .

ان التربية الدينية التي تعني بتنمية الضمير لدى الطفل ، انما تكرس لديه رموزا معقدة في اطار فهم معنى العقاب ، او الثواب ، فالصدق والكذب مفتاحان لرمزين كبيرين تظل دلالتهما غير واضحة على مدى الفترة

المتداخلة بين مرحلة الطفولة الاولى والوسطى .. لذلك يستعصي على الطفل في مرحلته الاولى فهم الرموز التي تحيطه.

ان مايهمنا في المرحلة الاولى من مراحل الطفولة التعريف بالحياة والبيئة المحيطة بالطفل، البيت، الروضة، الاصدقاء، الطعام، عالم الحيوان، الاشجار، الضوء، الظلام، الاصوات، الايحاءات .. وبقدر مايبدو الامر يسيرا، وغير متعذر، الا اننا ينبغي ان لانتردد في الافادة من البيئة لاختيار وسائل المخاطبة بما ينمي فكر الطفل ويزيد خيالاته الخلاقة.

الفصل الثاني
نشيد البراءة

الفصل الثاني
نشيد البراءة

أ
الشعر وثقافة الاطفال في العراق

حين يكون الشعر موضوعا للبحث في اطار ثقافة الطفل في عصرنا الراهن ، فان اول ماتستعيده الذاكرة هو موقف العرب الاولين من الاطفال في مختلف الحقب وعد مختلف التحولات الاجتماعية التي شهدتها الامة العربية

منذ نشأتها . واذا كانت الجاهلية قد كرست روح الكبرياء واكدت اهمية اعداد الاطفال والفتيان اعدادا عسكريا فان الدافع الاساس لكل ذلك لم يكن سوى المباهاة . والتنافس .. والعصبية امام تحديات القبائل وتقلبات الزمان وصعوبة الحياة وجفافها .. ان عمرو بن كلثوم قد اوجز الموقف بتحدي الفرسان ولباقة شاعر حين حدد ببساطة ووضوح موقع الطفل في تمثيل قوة القبيلة .. وحمل كل رموزها امام الناس :

اذا بلـغ الفطـام لنـا صبـي
تخـر لـه الجبـابـر سـاجـدينـا

ان كبرياء هذا الشاعر لم يكن مستمدا حسب من قيمة « الكبرياء » التي ترسخت في حياة القوم وسلوكهم ، بل من خصوصية الطفل باعتباره المدافع عن مستقبل مواقف السلف وتأكيدها .

لقد اتسمت القصائد العربية التي قيلت في مناسبات شتى لكونها تعبير عن موقف العرب هذا من الطفولة وسر اهتمامهم بها رغم صعوبة الحياة .. وجفافها . لقد كانت اشعار الترقيص والتنويمات العربية القديمة[1] تؤكد بوضوح تام هذا الاعتزاز الوافر الذي تضيفه العائلة وبقوة المجتمع في تأكيد النظرة السائدة نحو الطفل والتي تعني باختصار شديد : الفخر .. والامان ، الفخر بهذا النسل الذي سيتمثل شجاعة الاباء ، والامان لان هؤلاء

الفرسان القادمين سوف يحملون شرف الدفاع عن منجزات القبيلة وتطلعات المجتمع:

يـاحبـذا ريـح الـولـد ريح الخزامى في البلد[٢]
اهكـذا كـل ولـد ام لم يلد مثلي احد

ان غناء الاعرابية لولدها على هذه الطريقة لايعكس مشاعر الامومة والحب العارم ، بل يؤكد قيمة الاعتزاز العربي بالذات التي سيمثلها جيل المستقبل .. الاطفال . ومثلما ينبىء الطفل بهذا الامان فانه يشكل دائما علامة تغيير ، فهذا هو عبدالمطلب جد الرسول (ص) يطوف الكعبة بالوليد ويغني:

الحمد لله الذي اعطاني هذا الغلام الطيب الادران
قد ساد في المهد على الغلمان اعيذه بالبيت ذي الاركان
حتى اراه بالغ البنيـان اعيذه من سرذي ثنـان
من حاسد مضطرب العنان

ان في هذا الشعر مايوحي بشيء جديد ، انه هذا الهاجس الذي ينتاب الرجل العربي وهو يستقبل وليدا جديدا .. والذي يعني امتداد الحياة نحو مديات بعيدة ومستقبل مشع . ان هذا التفاؤل مبعثه ان الوليد يمثل باستمرار اشارة تغيير ايجابي .. وفي الشعر العربي القديم امثلة عديدة على ماقاله العرب حول الطفل كامتداد لهذه الامة ، ولايفوتنا القول بان الحصيلة الكبيرة التي نتوافر عليها في شعر الجاهلية قد استكملت من بعد منذ ظهور الاسلام والمراحل اللاحقة التي اسهم في اثرائها

شعراء وحكماء العرب على طريق تربية وتثقيف الجيل . لقد كرس الاسلام قيما جديدة ومثلا عليا في تأكيد قيمة الام وموقعها .. وهو امر انعكس بالضرورة على الطفل واعداده وتربيته في ظل احتلال المرأة موقعها الحق .. ومكانتها اللائقة ، كما كرس الاسلام قيم التربية وحددها بصيغ متقدمة انعكست على شعراء العصر ومربيه .. وبالرغم من ان الامثلة عديدة الا اني أُوثر ذكر بعض من شعر (الفارابي) هو جزء من عدة الطفولة وذكريات الايام :

هــذب النفس بـالـعلـوم لتـرقـى
وتـرى الكـل فـهـي للكـل بيـت
انمـا النفس كـالـزجـاجـة والـعلم
سـراج[٣] وحكمـة اللـه زيـت
فـاذا اشـرقـت فـانـك حـي
واذا اظلمـت فـانـك ميـت

العصر الحديث ومتطلبات التعليم

لقد ورث الشعراء العرب الذين واكبوا بداية تجربة التعليم في الوطن العربي هذا تراثا جما من القصائد والاشعار .. والتنويحات والحكم والشعر التعليمي بشكل أثر فيهم تأثيرا كبيرا ، ولم يكن الشعراء العراقيين منذ عشرينات هذا القرن قد اتقنوا فن الكتابة للطفل لذلك كانت تأثيرات هذا الموروث واضحة ومميزة ، وكانت الاعمال الشعرية الاولى قد اتسمت بطابع توجيهي او بطابع التغني بالطفل واتخاذه رمزا للكثير من المعاني ومحور العديد من المواقف[٣] لذلك جاءت القصائد والاشعار والاناشيد والمقاطع المستلة من اعمال الشعراء العراقيين آنذاك لتسير في هذا الاتجاه امام مستلزمات التأليف للكتب والمناهج المقررة ، بمعنى ان الاعمال الشعرية حول الاطفال في تلك الفترة جاءت استجابة لدافعين اساسيين هما :

١ ـ خدمة النهج التربوي والتعليمي .

٢ ـ اختيار الطفل رمزا شعريا لنقل صورة الواقع الذي يعيشه المجتمع .

لقد اتسمت الاعمال التي اسهم بها شعراء مثل :

الرصافي ، الزهاوي ، عبدالمحسن الكاظمي ، محمد رضا الشبيبي ، محمد بهجت الاثري ، د . احمد حقي الحلي واخرون ، بقدر عال من الحرفية هي بالتأكيد نتيجة للاتجاه التعليمي الذي وظف الشعر لخدمته وقد كانت القيم المعرفية .. والاجتماعية ، والممارسات والتوعية الوطنية والقومية محور كل تلك الاعمال .. وكان من ابرز الملاحظات فيما كان يقدم للاطفال من شعر هو اتجاه الشعراء نحو وضع جداول للمفردات الصعبة التي يستعصي على الشاعرالمجيء ببدائلها لبيان معاني الكلمات الصعبة وهو امر عليه الكثير من التحفظ وله الكثير من المردودات السلبية في العملية التعليمية .

ان الافكار الكبيرة والتقنيات الشعرية التي درج شعراء تلك الفترة قد جعلت من شعر تلك المرحلة يتسم بالصعوبة والعسر قياسا لمتطلبات الشعر للاطفال في المراحل الدراسية الاولى ، غير ان قصصية بعض اعمال الرصافي وما اخذ عن شوقي من حكايات شعرية ، قد اضفت طابع الحكاية المشوق بشكل وفر للاطفال فرصة الاطلاع على نماذج جديدة . ومن المفيد الاشارة هنا الى تجربة جديدة دخلت الى شعر الاطفال هي تجربة الدكتور احمد حقي الحلي[٤] في اصدار « الاناشيد الطفلية » .. فيها الكثير من مميزات الشعر التي تجعله سهلا قريبا من الطفل .

ويبدو لي ان تدرج الشاعر في مجال التعليم من معلم الى مدير مدرسة الى مشرف تربوي ثم استاذ جامعي قد جعله على قدر عال من الوعي والمعرفة بخصائص الشعر للاطفال انني اجد ان هذه المرحلة التي اسهم فيها ـ الى جانب الاستاذ الحلي ـ شلة من الاساتذة والادباء في تأليف مناهج المراحل الدراسية الاولى قد ادت باسلوب شعري جديد وتقنيات بسيطة هي اقرب للطفل من تلك التي ارسى قواعدها الاولون ، ففي شعر الحي نواجه طابع الحكاية ، واستخدام الاصوات .. ونعيش حالة النمو الدرامي .. والتشويق ..

انـــا عصفـــور صـــغـــير انـــا عصفـــور صـــغـــير
قتـــل الصيـــاد امـــي ليس لي اليـــوم نصـــير
انـــا في الـــغصن مقيـــم انـــا عصفـــور يتيـــم
ليت لي جنحـــا قـــويـــا ليتنـــي الان اطـــير
من تـــرى يحنـــو عليـــا يـــرســـل الحـــب اليـــنا
ارحمـــونـــي اطـــعمـــونـــي انـــا عصفـــور فـــقـــير

كما كان الشاعر قد لمح ميول الاطفال نحو الشعر الغنائي الذي يجعل الطفل مشاركا في ادائه او المساهمة في تأكيد ايقاعاته بالحركة .. او التصفيق :

فمـــن حمـــام البستـــان لنـــا الـــريـــاض اركـــان
نـــلـــعب فـــوق الاغصـــان نشـــدوا بقلب فـــرحـــان
كوكوكتي كوكوكتي كوكوكتي

●

نحـن الحمـام القمـري نحـن الحمـام القمـري
نطـير وقـت الفجـر نشـدو بقلـب حـري
كرررر كرررر كرررر

او :
هـري حلـو الشـعـر
ولـه عـين الصقـر

يمشي هـري مثـل النمـر
ويلـذ لـه صيـد الفـأر

وخلاصة القول ان الشعراء العراقيين التقليديين قد اسهموا اسهاما فاعلا في ارساء اللبنات الاولى لشعر الاطفال ، واكدوا قيمته ليس باعتباره وسيلة تربوية وتعليمية هامة ، بل باعتباره نمطا من الاستجابات لفيض الحيويات والنوازع الطفلية المتسمة بالنشاط والتفاعل بشكل وضع امام الشعراء الذين واكبوا ، حصيلة طيبة وتجربة وفرت فرص الاطلاع والمعرفة .

مرحلة جديدة

نستطيع ان نثبت بداءة ، حقيقة هامة واساسية عند دراسة واقع ادب الاطفال والشعر كفن من فنونه في العراق هي ان تجربة ثقافة الاطفال بمعناها العلمي الصحيح قد ارسيت قواعدها واكتسبت شروط نمائها بعد ثورة السابع عشر من تموز عام ١٩٦٨ وذلك باصدار مطبوعين خاصين بالاطفال هما :

١ ـ مجلة مجلتي .
٢ ـ جريدة المزمار .

صدرت (مجلتي) عام ١٩٦٩ للاطفال من ٦ ـ ٩ وجريدة المزمار عام ١٩٧٠ للاطفال من سن ١٠ ـ ١٥ سنة ، واذ نشير الى هذه الحقيقة انما نحاول ان نلخص الماضي في نظرة سريعة في محاولة لتأكيد اهميتها من الناحية التاريخية ، واثرها في دراسة ادب الاطفال في العراق .

لقد كانت مطبوعات الاطفال التي صدرت في فترات متباعدة من الزمن في القطر العراقي عبارة عن تجارب اولية ترتضي بالمحاولة وتنتهي الى الزوال السريع وكان

مصير العديد من المطبوعات منذ عشرينات هذا القرن التوقف المفاجىء[٥] اما لاسباب فنية او مالية معروفة والاهم من ذلك افتقار تلك الاصدارات الى المنهجية

السليمة وغياب في رؤية الاهداف فضلا عما احاط بتلك الاصدارات من تأثيرات مصدرها الصحافة المدرسية والاصدارات العربية التي سادت في تلك الفترات بشكل جعلها تفتقر الى الشخصية المميزة والقدرة على النهوض بمهمة المطبوع المتوجه للاطفال . ومن المفيد القول بان الواقع الثقافي آنذاك لم يكن قد هيأ الظروف الموضوعية لوجود كتاب وادباء وفنانين متخصصين في هذا المجال ، كما لم تثمر اسهامات الاساتذة من الادباء والشعراء في توفير القناعة بقضية الكتابة للطفل وقد استمر هذا الواقع سنوات طوال هي بالتأكيد نتيجة للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي مر بها القطر العراقي .

ان صدور مجلة مجلتي وجريدة المزمار[٦] قد اسهما في تحقيق نتائج انعكست بشكل فعال على عموم تجربة ادب الاطفال والشعر بشكل خاص ، ويمكن ايجاز تلك النتائج بالنقاط التالية :

١ - ان المطبوعين قد اسهما في اعداد جيل من الكتاب والشعراء ممن الموا بشروط الكتابة للاطفال واسهموا في تقديم اعمال مميزة في مختلف حقول الكتابة .

٢ ـ ان المطبوعين قد سجلا نتاج مرحلة اساسية من مراحل ادب الاطفال ، ونقلا عن الرواد الاوائل نماذج من اعمالهم مما دفع الكثير من الادباء الكبار للاسهام في الكتابة للاطفال[٧] .

٣ ـ ان المطبوعين قد اثبتا حقيقة اساسية هي ان ادب الاطفال يعتبر فرع اساسي من فروع الادب عموما والثقافة الجماهيرية بشكل خاص .

ولما كان من نصيب كل تجربة جديدة قدرا من التجريبية فقد ظل الشعر واحدا من الفنون التي تردد الشعراء كثيرا في الدخول الى عالمه الرحب خوفا من اخطاء التجريب ولان تجارب الرواد لم تكن كافية بشكل حاسم في بلورة الخبرة وتقديم النموذج ، لذلك اتسمت السنوات الاولى لمطبوعات الاطفال في العراق بانخفاض نسبة الشعر فيها الى حد بعيد فلقد « شغل الشعر في مجلة مجلتي مساحة ٢٫٧٨٪ من مساحات صفحاتها وقد تناول اغلبها موضوعات قريبة الى الاطفال وانطوى البعض الاخر على تأملات دقيقة ومتفائلة واحتلت المسرحيات الشعرية مكانة واضحة في مجلتي هي في مجملها تنبض بالروح القومية وظهرت الى جانب ذلك سيناريوهات شعرية وحكايات شعرية على غرار امثولات لافونتين ، وشغل الشعر في المزمار نسبة واطئة هي ٠٫٨٪ من مساحات صفحاتها وكان بعضه من شعر الكبار[٨] ان هذا الاستنتاج ليوحي بفهم اكيد للدوافع الحقيقية وراء

انجسار مساحة الشعر في مطبوعات الاطفال في العراق خلال السنوات الاولى ، ان ارتفاع نسبته في مجلة مجلتي يعود الى طبيعة قراء هذه المرحلة ممن هم دون التاسعة ، وهم اولئك الذين يشغلهم الايقاع ويشدهم التنغيم الى حياة الاكتشاف والحركة والمرح ، كما هو حال المجتمعات البدائية « ان الغناء في مجتمعات هذه الشعوب جزء لاينفصل عن حياتها ، وهو يمارس باعتباره شأنا متكاملا من شؤون عيشها اليومي »[٩].

اما انخفاض نسبة الشعر في جريدة المزمار فان قراء هذه المرحلة ١٠ ـ ١٥ من الممكن ان يستمتعوا بالشعر والحكايات الشعرية ـ غير ان الاناشيد الحماسية الدافقة والوقع العنيف المميز اكثر قربا من طبيعة متطلبات النضج ومقتضيات المراهقة.

ان الفترة الواقعة بين ١٩٦٩ ـ ١٩٧٥ هي الفترة التي شملها التقييم الوارد آنفا ، اما المرحلة اللاحقة التي تنحصر بين ١٩٧٥ ـ ١٩٧٩ فانها فترة غنية بشعر الاطفال ، ليس فقط في مجلتي والمزمار ، بل في المطبوعات الاخرى التي صدرت للاطفال في العراق وهي : جريدة المسيرة ، ملحق تموز ، صفحة الجيل الجديد المجموعات الشعرية التي صدرت ضمن سلسلة مكتبة الطفل[١٠] فضلا عن دور المؤسسة العامة للاذاعة والتلفزيون في انتاج اغاني الاطفال[١١] الذي اثرى بدوره تجربة الشعر وفتح آفاقا جديدة لجيل مقتدر من الشعراء على تقديم

نماذج رائعة اصبحت اناشيد واغاني يومية يرددها اطفال الرياض ويحفظها طلاب المدارس ، لقد اتسمت اعمال هذه المرحلة بوضوح الرؤيا وبالمام بمقتضيات الكتابة الشعرية للاطفال ويمكن ايجاز مميزات شعر هذه المرحلة بما يلي :ـ

١ ـ وضوح اللغة وبساطتها : فلقد تيسر للشعراء الذين مارسوا كتابة الشعر للاطفال الالمام بطبيعة لغة الطفل ، وبدائل المفردات وافادوا افادة كبيرة من مميزات اللغة العربية في توفير المرادفات والاشتقاقات بشكل يتوافق مع المراحل التي يخاطبونها .

٢ ـ استخدام الاصوات الانسانية والحيوانية بشكل اثرى التجربة واعطاها مميزاتها المعاصرة المطلوبة .

٣ ـ التكرار والايقاع المميز الذي يكرس الافكار ويعمق القيم ويوفر الوضوح .

٤ ـ اختيار الاوزان الشعرية الخفيفة ، والافادة من تقنيات الشعر الحديث في عدد التفصيلات مع التزام بشروط القافية توخيا للايقاع والموسيقية .

٥ ـ اعتماد القصصية في السرد بشكل يعطي القصيدة نهجا روائيا محببا للاطفال .

قراءة في قصائد

لقد تميزت اعمال الشعراء العراقيين بالترامها . مهمات الشعر في ايصال المعرفة وتنويع الخبرات مستفيدين من ادوات الطبيعة .. واللون .. والحقائق . بشكل يجعل من القصيدة عملا مسوغا ومقبولا ..

احمر .. ازرق .. اصفر
اصفر ازرق احمر
الشمس تدور تدور
والارض تدور .. تدور
وانا وسمير وثائر
والقطة والعصفور
نتجمع قرب الدار
ونغني للازهار
ولافراح الانسان
في وطني وطن النور(١٢)

ان استخدام الالوان الاساسية ومحاولة تكريسها في ذهن الطفل ، مع معلومة علمية عن دوران الارض حقيقتان سوف تظلان مرافقتين للطفل في حياته وتجربته ، وفي قصيدة اخرى تجيء الاصوات

مسموعة .. قريبة الى الاذن والطفل بانتظار هذا الزائر :

تك تك تاك .. بابا .. بابا
طلع الفجر
وتغنت كل الازهار
وانا عمري زاد نهار

●

غنى العصفور على الغصن
فافاق الديك على اللحن
ودعا الناس الى الافطار[١٣]

او :

رسمت في كراستي قرنفله
ونخلة .. وسنبله
وقربها حمامه
وبلبلا .. وبلبلة[١٤]

ان الوقع الشعري يستمد من استخدام الاصوات مؤثرات اكثر فعلا في شد الطفل الى اكتشاف المعنى والحفظ معا ، كما في النموذج :

صـاح الـديـك كـوكـو كـوكـو
جـاء الصبـح هيـا اصحـوا
طلـعـت شمسي مثـل الـعـرس
راح الكسـل جـاء الـعمـل
عـاش الحـب عـاش الشـعـب[١٥]

او استخدام الاحرف العربية لهدف تعليمي فضلا عن توظيفها لظروف الشعر :

الـفٌ باءٌ تـاءٌ ثـاءٌ
هيـا نقـرأ ياأسماء
باءٌ بيدر

الفٌ أخضرْ
شينٌ شبكه
سينٌ سمكه
هيـا نكتـب فـوق الـدفتـر
حرفا اخضر(١٦)

ومثلما افيد من الاصوات ، والموسيقى ، فقد طوعت « القصصية » لاضفاء الطابع الدرامي ، والتسلسل في قصائد المرحلة :

احكـي لكـم حكـايـة طـريفـة للـغـايـة
عـن رجـل صيـاد يـدعـى ابـا حمـاد
يـروح كـل يـوم في الفجـر بعـد النـوم
فيحمـل الشبـاك لجدول هناك .. (الخ)(١٧)

او :

حكـايـة مختصـرة عـن اسـد وقبـره
بنـت بجـهـد عشـهـا وبـاضـت فيـه بيضـهـا
ومـرت الليـالي بـالصبـر والآمـال(١٨)

او :

دن دان دن دان
قد كان ياما كان
في ذلك الزمان
مطرقة حزينة وقربها سندان
في معمل قديم غادره الانسان
دن .. دان ..[١٩]

لقد كانت القيم الوطنية والقومية من اكثر الموضوعات

يمشي بنا او يأمر الرياح
صديقنا المستقبل
يلقي على الصباح
ضياءه فيبدأ الزمان
فوق سياج بيتنا[٢٠]

وكما يؤذن الحاضر بالتفاؤل فان الماضي يرسم في الذاكرة صورة الاجداد .. كما في قصيدة الشاعر عبدالرزاق عبدالواحد :

بغداد ياعاصمتي الحبيبه
ياوردة الحضارة العجيبه
ياأملي ياأمل العروبة
ياماسمعت اسمك في صوت ابي
ياما حكى لي عن كفاحك الابي
ياما حلمت الليل بالمنصور
حيا يطل من دجى العصور

ان تطور تجربة مطبوعات الاطفال في العراق ضمن سياق حركة ثقافة الطفل قد افرز خلال السنوات الاخيرة ممهدات التقدم . والنمو لمشاريع ثقافة الاطفال ، وحين يسهم الشعر في رفد هذه التجربة فلانه اقرب الوسائل الى الطفل واكثرها تأثيرا فيه .

التي استأثرت بالاهتمام في شعر الاطفال ، ويجيء ذلك متوافقا مع عمليتي التربية والتثقيف القوميتين في القطر العراقي في ظل ظروف النهضة الشاملة والمواجهة القومية للهجمة الشرسة التي تتعرض لها ثقافة الاجيال العربية من قبل الاستعمار والصهيونية ومحاولات التشويه والتمزيق ..

ان قيمة الوطن لاتأتي بصيغة الهتاف ، او النشيد المباشر ، بل تأتي بصيغة التعبير من الدفء والامان والحب ، كما في قصيدة الشاعر غازي الفهد :

مرت حمامات على الأوراق
تساءلت عن أدفأ الاشجار
قالت لها .. حطي على العراق

مرت سحابات على الأوراد
تساءلت عن اعذب الانهار
قالت لها :
الماء في بغداد .

أو يأتي بصيغة التفاؤل والمستقبل :

فوق سياج بيتنا
رفرف عصفوران
فوق سياج بيتنا
تسكن نجمتان
ومن سياج بيتنا
نبتدىء المستقبلا
نراه او نسمعه
في ثوبه مدللا

الهوامش

١ ـ راجع : اشعار الترقيص عند العرب ـ سعيد الديوجي مطبوعات وزارة الاعلام ـ ١٩٧٠ واغاني ترقيص الاطفال عند العرب / احمد ابو سعد دار العلم للملايين ـ ١٩٧٤ .

٢ ـ اشعار الترقيص عند العرب ص ٣١ .

٣ ـ راجع ديوان الرصافي ـ ج٤ مطبوعات وزارة الاعلام ١٩٧٧ قصيدة مستشفى الطفل ـ الارملة المرضعة ـ وقصائد اخرى .

٤ ـ الاناشيد الطفلية ـ ج١ ، ج٢ ، احمد حقي الحلي . دار المعارف ١٩٤٥ .

٥ ـ صحافة الاطفال في العراق ـ هادي نعمان الهيتي ـ دار الرشيد ١٩٧٩ .

٦ ـ اصبحت جريدة المزمار مجلة تصدر اسبوعياً ابتداء من مطلع عام ١٩٧٩ .

٧ ـ ظهرت للشعراء : علي الحلي ، محمد جميل شلش ، علي جعفر العلاق ، خليل الخوري ، عبدالرزاق عبدالواحد ، واخرون قصائد كثيرة في مطبوعات الاطفال .

٨ ـ صحافة الاطفال في العراق ـ ص ٢١٦ .

٩ ـ اغاني ترقيص الاطفال ص ١٩

١٠ ـ مطبوعات الأطفال في العراق هي

- مجلة مجلتي ـ ١٩٦٩
- المزمار ـ ١٩٧٠
- ملحق تموز ـ ١٩٧٧
- صفحة الجيل الجديد ـ ١٩٧٧
- سلسلة مكتبة الطفل ـ

١١ ـ لدى المؤسسة العامة للاذاعة والتلفزيون ثلاثة اقسام لبرامج الاطفال تنتج أعمالاً غنائية تعتمد الى نتاج الشعراء العراقيين

١٢ ـ مجموعة قوس قزح ـ فاروق سلوم ـ وزارة الاعلام ١٩٧٧

١٣ ـ الشاعر خالد يوسف ـ مجلتي ١٩٧٨

١٤ ـ الشاعر خيون دواي الفهد ـ مجلتي ١٩٧٨

١٥ ـ ١٦ بيان الصفدي ـ مجلتي العددان : ٦٩ ـ ٩٩

١٧ ـ الشاعر سعدون الهلالي ـ مجلتي العدد ٣١

١٨ ـ الشاعر طارق الزبيدي ـ مجلتي العدد ٢٥
١٩ ـ مجموعة قوس قزح .
٢٠ ـ الشاعر فاروق يوسف . ـ ١٠٣
٢١ ـ نماذج الشعر مختارة من المجموعات السنوية للمطبوعات العراقية الورادة في الهامش (١٠)

ب
قصائد اطفال الحرب

في مطلع السبعينات ، بدأ مجموعة من الشعراء التوجه جديا للكتابة للاطفال ، وكنا نعتقد انهم بذلك يدخلون مدخلا صعبا.كان كل ما نمتلكه في هذا الشأن ، مختارات ، واناشيد وقصائد منتقاة . ضمتها مناهج التعليم الابتدائي لطائفة من الشعراء الرواد في مجال « الادب الابتدائي » .. وكان كل مالدينا من معارف وخبرات عن ادب الاطفال ، بضعة بحوث ، ومترجمات ودوريات اضافة الى جملة اجتهادات اولية خلقتها التجربة .

لقد اراد البعض في البداية ، ان يحاكم الشعر الذي كتب للاطفال ابان هذه الفترة من خلال احكام سلفية ، تميل الى توصيف الشعر على انه مادة « نمطية » ، تنقل الحكمة وقوانين الاخلاق ، والحكايات وفق شروط فنية تقليدية ، بل ان البعض كان يجد ان على الشاعر الذي يكتب للاطفال ان يستدرج القيم وفق تتابع موجه . بحيث تخرج القصائد ذات مغزى او دلالة ، ويمكن عندها ان تصنف في اطار الاشكال القابلة للنقاش . ان الجدل الذي اثير خلال العقد الماضي ، عبر الصحافة اليومية ،

والدوريات والحلقات الدراسية قد اضاف خبرة جديدة لطرفي الحوار .

ففي الوقت الذي كان فيه الشعراء ، ومنهم مجموعة من الشباب الذين نشأوا في ظل الثورة ، ومؤسساتها الثقافية ، يؤكدون حقيقة ان ادب الاطفال فن رفيع ، وانه فرع من فروع الادب عامة رغم حداثة هذا اللون من الوان الكتابة كان المربون والمهتمون بشؤون التربية يعيدون النظر باحكامهم التي اطلقوها حول اشكال الكتابة للاطفال ، والشعر بشكل خاص ، ويقرون السمات الفنية التي تميز هذا اللون بحيث تجعله وسيلة مهمة من وسائل الاتصال والثقافة ، والتي لها تأثيرها البين في الميول والاتجاهات ومفردات الحياة ايضا .

ويمكن العودة الى تلك الوثائق لنتأكد ان قضيتي (الشكل والهدف) في الكتابة للاطفال قد حسمتا ، ولم يعد اي التباس وعلى الرغم من ان الفترة ١٩٧٠ - ١٩٨٠ قد شهدت نتاجا شعريا متميزا . الا ان قصائد الشعراء في ظل الحرب قد اخذت منحى اخر . انعكس على مستوى الشعر ، واكد دوره في التعبئة وتوجيه الاطفال توجيها دقيقا في هذه المرحلة من تاريخنا السياسي والاجتماعي والثقافي .

ان قصائد الاطفال التي كتبت في ظل الحرب قد استوفت شروطها عندما اعتمدت قيما ومضامين ترتبط ارتباطا وثيقا بالحدث ، كما اجابت على تساؤلات طرحها

البعض بشيء من التهيب حول فكرتي « اطفال الحرب » و « اطفال مابعد الحرب » ان استنتاجا مباشرا نتوصل اليه عند دراستنا لقصائد الشعراء يدلنا على حقيقة مهمة هي ان القلق « النظري » حول مردودات التربية والتثقيف في ظل الحرب ، قلق فيه الكثير من الانشاء الذهني ، لان القيم التي تطلب تأكيدها في زمن الحرب ، من شأنها ان تخلق انسانا ، كما في زمن السلم ، سويا ، عادلا وبناء . لكنه هذه المرة قد تماثل مع قيم البطولة ، والشهادة والفداء وقيم التاريخ المستحضرة . اننا لا نعتقد بجدوى الاحكام ، والمقولات التي تقوم على نصوص نظرية معدة سلفا ، في ظل ظروف ومجالات ، دون ان يقترن ذلك بفحص ميداني دقيق ، ومقارنة واقعية في ميادين العمل ، يؤكدان صحة الرأي او بطلانه ، ولانريد هنا ان نضع الشعر الذي يكتب للاطفال اليوم معيارا نهائيا لدقة هذا الرأي او ذاك ، بقدر ما نريد ان نشير الى حقيقة بلورتها التجربة ، تقول بضرورة الاحتكام المباشر الى « جمهور الاطفال » الذي يؤثر تأثرا مباشرا في توجيه النشاط الثقافي ، والتأثير فيه خلال العقد الاخير ، وبشكل واسع النطاق .

يقول رنيس اسكاربي رئيس الجمعية الدولية لبحوث ادب الاطفال « ان الشعر هو الغنائية ، مهما احتدم الجدل حول فكرة ، الغنائية ، والشعر المكتوب للاطفال هو افضل لنماذج الحكم اذا اردنا ان نتعامل مع هذا

الموضوع بمعايير نقدية جادة غير منحازة لقضية الشعر وحده » . ان هذا الفهم الذي يفرد للشعر فهما ضمنيا لدوره ، قد تجسد جيدا في النماذج التي عرضها شعراء عاشوا تجربة من اخصب تجاربهم في ميداني الحياة والثقافة .. عندما كانت سوح المعارك ميدانا رحبا للكشف والابداع ايضا .

هات النصر لنا يابابا انا زينا الأبوابا
وصنعنا من سعف النخل وهواك واشواق الاهل
قوس النصر .. هلا يابابا

ان الشاعر خالد يوسف ، الذي اتقن العمل في القصيدة الكلاسيكية والقصيدة الحديثة ، ثم انقطع عنها مدة طويلة عمل باحكام فني دقيق في بناء قصيدة الطفل ، اوزانها ، وقوافيها ، صورها الشعرية وقيمها المعهودة . واجد انه قد وجد مبتغاه في شعر الاطفال ، عندما لم يتحقق له ذلك في تجربته السالفة .

وطني يابيرق
رفَّ على الدنيا
ياشمساً تشرق
وكتاباً يحيا
في قلب الدنيا
أو
علِّ ياطيار علِّ

في السما بين الغيوم
وابن مابين النجوم
بيت اهلي .

ان الحث باتجاه الصورة الشعرية المتقنة لايبدو متعمدا او هدفا مرسوما على ايصال مضمون مايتصل اتصالا مباشرا بقيم المرحلة ، كما في قصيدة الشاعر فاروق يوسف .

فوق سياج بيتنا
رفرف عصفوران
فوق سياج بيتنا
تسكن نجمتان
ومن سياج بيتنا
نبتدىء المستقبلا
نراه او نسمعه
في ارضنا مهللا

في قصائده التي قرأنا في « اناشيد السكون » يبني فاروق يوسف تقليده الشعري على تقديم الضربة الشعرية السريعة ، ورغم ان ذلك ليس من صلب اهتمام موضوعنا ، الا أننا نجد عند دراسة قصائده للاطفال ، انه يخطط القصيدة ، بحيث لاتستنزفها الغنائية ضامنا بذلك ، توطئة هادئة ، وبساطة في اللغة . وصورا نشيدية مألوفة :

يمشي كما الضوء بنا

أو يأمر الرياح
بأن تزور حقلنا
وتنثر الافراح

ثم يلخص فكرته دون عناء ، بعد ان كان قد عرض الافكار بطريقة ملغزة لقارىء يولع باللعب على هذا النحو :

صديقنا المستقبل
يلقى على الصباح
تحية فينهض الضياء
ويهرب الاعداء
حين يطل جيشنا
يحمي سياج بيتنا

وقيمة حب القائد التي حرص الشعراء على تقديمها كقيمة مركزية في ظل معركة مصيرية لاتأتي قيمة مفردة . او مباشرة . انما ترتبط بمفردات الوطن التي هي مفردات بيئة الطفل . يقول فاروق يوسف :

تعرفه الغيمة والاعشاب ، والسواقي
وصوته القادم بالفجر الى العراق
تعرفه آذان كل الناس
مبتهجا يمر كالاجراس
حبيبنا صدام
وحبه
يزهر في قلوبنا ، كالآس

والشاعر عبدالرزاق عبدالواحد الذي عرف بانه اوفر الشعراء نتاجا للقادسية . يبني قصائده الاولى للاطفال ، وفي المعركة ، دون هندسة للصورة الشعرية ، ذلك لان حب القائد لديه ، يقترن بالتاريخ :

ياجيشنا المجاهد
كم طارقاً وخالد
وكم مثنى فيك
ارواحهم تفديك
فصل على نبيك
ولاتقل اطفال
ياصدام
أو
يامن سألت عنا
نحن بنو المثنى
الفارس الذي به
تاريخنا تغنى

لكنه سرعان مايعكف على بنائه المحكم ، باللغة العالية والتصوير المتين حيث تبرز شخصيته المميزة وتقاليده ، دون ان يخل بحالة المتلقي واجد ان المقطع التالي من اكثر المقاطع الشعرية رسوما بسبب قوته التصويرية الباهرة رغم صعوبة بعض مفرداته :

يامن زهت بكفه
شكائم الخيل

ومن نخوض خلفه
معابر الويل
يامطلع الشمس لنا
يا ماحي الليل

ان قصائد الشعراء ، على كثرتها تستدعي دراسة متانية ومنصفة خصوصا للاصوات الجديدة التي فجرت فيها المعركة امكانات جديدة وكنت آمل ان ابتدىء اولا بدراسة نتاجاتهم غير اني اثرت اختيار نماذج متقدمة من شعراء يتمتعون بقدر من الرسوخ لكي تتاح الفرصة ، لاحقا لاجراء مقارنة جادة بين نموذجين من القصائد تفيد باتجاه خدمة اهداف هذه الدراسة . بأمل ان نأتي على متابعة ذلك فيما بعد .

أغنية الطفل بين النص المرتل والنص المكتوب

حين يولد الطفل فان واسطته الاولى للاتصال بالعالم هي اذنيه ولايختلف اثنان في ان الاذن واسطة تلق اساسية تستطيع عبرها ان توصل الطفل اول الدروس في اداء الاصوات ، وربما لاحظ عدد من المربين والاباء ، ان الطفل بعد الشهر الاول من العمر يستطيع ان يطبق شفتيه تقليدا لسماعه الحرف « باء » في « بابا » .. وحرف « الميم » في « ماما » ، وهذه الظاهرة تنقلنا الى حقيقة مفادها ان نشأة اللغة كانت قد اعتمدت « التصويت » اولا : فقد لعبت الاصوات ، والتنغيمات دورا كبيرا في تدريب الانسان الاول على اخراج الحروف ، ثم المقاطع ، ثم ولدت الكلمات ، واتخذت معانيها ومواقعها في الاستعمال ، ولا اغفل هنا ، ان اذكر ان الاشارات ، والرموز ، واصابع اليد ، وحركات الجسم قد لعبت آنذاك دورا بارزا في ترجمة تلك الاصوات واستقرارها في صيغ نهائية على مدى القرون الاولى للنشأة الانسانية .

والطفل الصحيح النشأة ، هو الطفل الذي يتحرك مع اللمسة الموسيقية الرقيقة ، والاغنية المرحة ، وان التوافق الوجداني ، والتربية المرجوة للطفل لايتمان الا باستحكام عدة افعال يواجهها الطفل ، ويتفاعل معها وتقف الموسيقى في مقدمة تلك الافعال ، وبوساطة الخبرات البيولوجية ، والذهنية والبيئية التي تمنحه اياها تجربته الاجتماعية نستطيع ان نضمن وعي الطفل بالقيم الموسيقية ، مسموعة اولا ، ثم مترجمة الى افعال وترانيم ، وحركات ، ورهافة سمع .. واغنية الطفل واحدة من وسائل التنشئة الموسيقية وبقدر ايماننا بانها « وسيط » شيق لنقل القيم والافكار والمعلومات فان اكتمال شروط هذه الوسيلة امر اساسي ، قبل اصدار اية احكام مسبقة ، او الشروع في قول ما هو عام .. ومرتجل .

الاغنية قبل كل شيء « نص » لكنه « نص » « مرتل » وفق انغام ، ودرجات صوتية ، وضوابط موسيقية ، ومن هنا ندخل باتجاه التفريق بين النص المكتوب ، والنص المسموع ..

ان ثمة نسبة تشير الى ان (٣٪) من الاطفال الذين يقرأون الصحف والمجلات يهتمون بالشعر المنشور في مطبوعاتهم وان النسبة الباقية ، وهي ولاشك نسبة كبيرة ، تمر على « النص المكتوب » مرورا عابرا باعتباره « كتلة » تشكيلية داخل الصفحة وهنا تجدر الاشارة الى

ان : الاطار ، والحرف والعنوان والمادة المؤطرة ، والارضية ، تشكل ـ من حيث المبدأ ـ كتلة او صورة لدى الطفل قبل اية دلالات اخرى ، لذلك فانه ليس من الغريب ان نفاجأ بهذه النسبة العالية من الاطفال ممن يتجاوزون الشعر المنثور . اما للاسباب الآنفة ، او لاستغراقهم في الاثارة او لعدم طواعيتهم للشعر . وصحف الاطفال هي التي تخلق قاعدة من قراء الشعر الى جانب العوامل الاجتماعية الاخرى من خلال تقليد يرافق صور المطبوع وهذا ما تفعله كل صحف ومطبوعات العالم ، فالنص المكتوب ، يتعامل بالكلمة . اما الاغنية فانها تتعامل مع وجدان الطفل بحساسية موسيقية ومن هنا نجد ان على الشعراء الذين يكتبون للاطفال ان يسدوا هذا الفراغ بالعناية الفائقة باختيار المفردة ، والعبارة ، والوزن الفعال السريع ، مع ضرورة منح القصيدة روحا قصصية من خلال انتقاء الصورة واعطائها ..

ان تفوق القصيدة المرتلة يستدعي الاشارة الى ضوابط اساسية هي بالضرورة دليل عمل الموسيقى . فهو مطالب بعدم اغفال الحركة الدينامية التي يتمتع بها الطفل ، وطابع المرح ، واعطاء الكلمة حجمها الصوتي ومكانتها ، وتناوب الصوت والنغم والغناء مع الاداء الموقع ، مع مراعاة طابع البساطة في اللحن بما يكفل تصوير المعنى والابتعاد عن التعارض ، والفراغ في اللحن .. وتوخي التكرار وتجنب الالحان المعقدة

والسلالم والمقامات الصعبة ، واستلهام الموسيقى العربية الاصيلة وتبسيط الحانها ، بما يكفل اداء الموسيقى متكافئا مع الكلمة ، ليعطي الاغنية الموجهة للطفل ومعها المطلوب ويجعلها وسيطا موضوعيا لهدفين مزدوجين : تربوي ، في اطار المران واثراء الحس الموسيقي . و من خلال المعلومة . والقيمة والفكرة التي يراد ايصالها .

اننا لانشك في ان حصيلة السنوات الخمس الماضية التي شهدت فيها اغنية الطفل نموا مضطردا .. وضعتنا امام حقيقتين اساسيتين ، الاولى تجريبية ، وفرت لنا فرصة النقد والتقويم ، واكتشاف قوانين جديدة ، والثانية نوعية ، اعطتنا نماذج متقدمة جدا على صعيد النص المكتوب والنص المرتل ، وبقدر ما يستطيع ان يقدم النتاج الكمي حصائل نوعية .. فان المرحلة القادمة تستدعي اجتذاب النوع وحضوره ، لان فرصة الاختيار موجودة بفضل نمو جيل من الكتاب والملحنين ، ينهضون باعباء اغنية الطفل في قطرنا .

د

قصيدة الطفل
التسمية والتأثير

لغة الطفل مصدرها الطفل ذاته . انه اشتقاقي بارع ، ومكتشف للمرادفات بشكل يدهش اللغويين دائما . وعندما يفاجأ الشاعر او الكاتب بالسؤال عن مصدر المامه بلغة الطفل فان الجواب لاينطوي على حقيقة نهائية اذا كان يعني ان المدركين هم مصدر لغة الطفل . ان احق الاجوبة هي ان يكون الشاعر . او الكاتب على اتصال بلغة الطفل ، وان معرفته بالمحصول اللفظي لكل مرحلة من مراحل الطفولة ، وعلاقة استخدامات اللغة عند كل مرحلة . بتطور الفكر ، هي مصدر مباشر لاتقان استخدام اللغة في كتابة قصيدة الطفل بصفة خاصة .

انه لمن المناسب ، ان ننظر الى اصطلاح « قصيدة الطفل » على ان تسمية حديثة تنطوي على قدر كبير من المراوغة ، فاذا اردنا ان نقول انها توصل اكثر مما يوصله النص النثري ، او انها تكثيف للتجربة بشكل يكون فيها المضمون ، والوسيط ، والفكر موجودين فاننا نجتزىء من تعريف الشعر الكثير . وبرغم ذلك فان قصيدة الطفل ، هي شكل من اشكال الكتابة للاطفال ، تخضع لكثير من قوانين الكتابة وشروطها .

وقبل كل شيء ، نقول ان موضوعات قصيدة الطفل لاتأتي من موضوعات الكبار . وربما يصح ذلك في ميادين محددة مثل : التربية .. والاعلام .. والاعداد .. الى غير ذلك من متطلبات العمل الميداني مع الاطفال ، ان موضوعات قصيدة الطفل تؤخذ من حياة الطفل ولاتفرض عليها ، فكثيرا مايعتقد الشعراء المدركون حتما انهم في اختيار الموضوعات التي تتغنى بجمال الطفل ، او تصف له الحياة العائلية ، او تقول له اعمل هذا ولا تعمل ذلك ، او تصور الهدايا .. والنجاح بشكل وصفي هي موضوعات تهم الطفل .

والحقيقة هي ابعد من ذلك . فمثلا ، في كل شارع مهما اتسعت مساحته ، ينتخب الاطفال بابا محددا او مكانا ، من دون كل الاماكن والابواب ، لكي يتجمعوا قربه ، كل يوم ، ويقوموا بالالعاب .. فاذا تدخل اي عنصر يتحدى ذلك فانه سوف يخلق صدى سلبيا عند الطفل . ان عنصر المكان ، والملاحظة ، والمعاناة هي مصدر مضامين قصيدة الطفل ، وليس الفكر ، والذاكرة المدركة والمنظمة المعبأة بقوانين التوجيه ، او الحرفة الشعرية ، وعليه فان العلاقة بين الاشياء ، الكبر ، الصغر ، القوة ، او الافكار الاقترابية التي تنقل الاشياء الحميمة ، باعتبارها ادوات الطفل وحبه . والاشياء الشخصية او الاجتماعية ، او العامة ، التي تمثل دائرة بعد وقرب الاشياء منه ، واهميتها ، وغير ذلك من أسس

عالم الطفل وتحولاته كفيلة بان تعطي المضامين التي يتوخى الشاعر ان تحظى بقبول الاطفال لها . هذا الاجتهاد او ذلك ، يقصد ادخال قصيدة الطفل في دائرتها الخاصة فهي كلما اقتربت من الموضوعات العامة ، وابتعدت عن موضوعات الطفل خسرت فرصة القبول ويمكننا في هذا الشأن ان نحدد ثلاثة اشكال للقصيدة الموجهة للطفل هي :

١ ـ القصيدة السردية
٢ ـ القصيدة القصصية
٣ ـ القصيدة الغنائية

وهذه الاشكال الثلاثة ، هي اكثر ورودا في الكتابات مع انه توجد اشكال اخرى معروفة تتصل بالشعراء انفسهم او ثقافتهم مثل القصيدة ، الكونكريتية ، او السوناتات او الهايكو في اليابان ، ولكن القصائد السردية والقصصية ، والغنائية تمثل اشكالا مميزة تعطي الشاعر والقصيدة امكاناتها في التأثير او الحضور .

والقصيدة السردية ، قصيدة ذاتية ، تنقل الحوارات بين الناس او بين مكونات القصيدة ، وتنتقل من فكرة الى فكرة داخل موضوعاتها عبر مقاطع مختلفة القافية محددة الافكار اي انها تصف الاشياء فقط ، مثل قصيدة تصف افراد العائلة ... الاب عامل ، الام ربة بيت ، والابن طالب يدرس ، والبنت الصغيرة تلعب ، والبيت يلم كل الافراد ، غير ان هذا الفضاء الذي في السرد ، تنطوي عليه القصيدة القصصية .

وهي قصيدة تحتوي في الغالب على قصة ، لها حدث محدد ، غير متشعب ، واشارات الى مكان الحدث ، او مصدره وهذه القصيدة تلتزم غالبا شروط الكتابة الكلاسيكية في اعتماد القوافي ، والاوزان ، كما عند شوقي ، والرصافي رغم ان الشعراء الشباب قد حققوا تطويرات كثيرة لهذا اللون من الوان الكتابة الشعرية للاطفال ، مما جعل القصيدة القصصية تجمع بين مميزات القصائد السردية مقطعيتها ، وحبكة النص الكلاسيكي ، ودقته ، وطلاقة القصيدة الغنائية بشكل ، اعطى القصيدة القصصية ، امكانيات فنية معروفة في جدتها . ان قارنا بين نص جديد . ونص من كتابات شوقي على سبيل المثال .

وتتشكل القصيدة الغنائية ، اهم اشكال القصيدة المكتوبة للطفل ، لانها تعتمد الالقاء بالدرجة الاساس ، وتأثير ذلك في حاسة السمع ، والفكر اي ان القصيدة الغنائية باعتبارها شكلا يعطي امكانيات التلاعب بعدد تفصيلات البيت ، وتغير قوافيه ، بما يعزز موسيقية القصيدة ، هي القصيدة الاكثر قربا . انها تجمع بين امكانيات النشيد والاغنية وتختار موضوعاتها دون ان يتحكم بها منطق القصائد السردية او القصصية انها مجموعة اصوات ومفردات ، وافكار وقفشات ، وغرائب وخيالات ، تصنعها الذهنية باحساس شعبي يقترب من

اللعب ، والارتجال ورغم ان ذلك قد يوحي بان القصيدة الغنائية لاتعني بالمضامين الجادة ، وتركز على فكرة اللعب ، بالافكار والمفردات ، والموسيقى ، الا ان القصيدة الغنائية للاطفال تؤدي وظيفتها لان مرونتها تتيح ان تنقل اية مضامين . ويمكننا النظر الى معظم النتاج الشعري للاطفال عندنا على انه من الشعر الغنائي ، الاهم من كل ذلك ... ان الاطفال تثيرهم الاشكال او النصوص الحديثة .. والغريبة ، والقصيدة كمنجز جديد من منجزات ادب الاطفال ، تستعيد شكلا جديدا ومضافا في ادب الاطفال وليس في كتب التربية .

هـ

شعراء الاطفال : الوطن في القلب

في البدء يحسن ان نؤشر حقيقة مهمة تقع ضمن دائرة اختصاص التربويين والنقاد . وهي ان النظرية التربوية او النقدية قد تعرضت للكثير من التغيير تحت وطأة ظروف من التغير المفاجىء في المفاهيم ، والقيم والممارسات والابداع خلال السنوات الخمس الماضية ، فلقد افرزت الحرب حالات من التقاطع بين المفاهيم الثابتة مدرسيا وبين ماهو متحقق ميدانيا من نتائج تنقض بشكل جزئي او كلي ، الكثير من الثوابت والاحكام . والحقيقة ان هذا الامر يتطلب مزيدا من التأني بغية التأكد من هذه الحقائق . خاصة ونحن نفحص ميدانيا صحة انطباقها على الواقع وقربها منه . واذا كنا قد عممنا في الحكم فيما نقدم ، فان ماتحقق في ميدان ادب الطفل شيء يعطي عيناته بشكل يعذر النتائج ، ويجعل الفحص والاستنتاج يتطابقان في الكثير من احكامهما الفنية ، في الاقل اذا كان تطابقهما من الوجهة النظرية النقدية يخضع للحوار والرد .

لقد حققت الحرب انجابا نظريا مهما في مايسمى اصطلاحا (اطفال الحرب) وهم شريحة ، او جيل يتعرض الى الصدمة ويعاني نتائجها . غير ان التجربة اعطت ، خلال السنوات الخمس الماضية ، هذه النظرة ردا اخر يختلف تماما ، هو ان (اطفال الحرب) هم اطفالنا الذين ينشدون الى قيم البطولة والى مقاعد الدرس . والى اللحمة العائلية والايمان بتوجيه القيادة والتماثل مع قيمة الدفاع عن الوطن .

وقد لعبت عوامل اساسية في هذا الميدان . هي العوامل ذاتها التي ينطوي عليها برنامج القيادة السياسية في الاعداد . والتربية في الحرب والسلم . وقد اثمرت السنوات الخمس الماضية عن جيل مشع بالفكر النير ، واللغة المعبرة ، والسلوك المتوافق .

ومن هنا وجد ادباء الاطفال في القطر . خلال حربنا العادلة . انهم لايخاطبون اطفالا يعانون من اشكال افترضته نظريات سالفة . بل هم امام جيل مشدود من الاطفال محكم الربط بالمجتمع . ومتفتح على منجزات المعارك .. وقرارات القيادة . وتوجيهات الاعلام ومتطلبات الثقافة والتعليم ومن هنا جاءت القصيدة باعتبارها اكثر الاشكال غنائية . لتمثل منجزا شعريا يستوعب هذه المستجدات ، ويقدم نتائج ممتازة في ميدان التأليف ، والابداع في ظل المعارك المصيرية خلال سنوات الحرب .

لقد انجزت الاغنية ، واستقطبت ابداع الذهنية العامية وعاطفتها . بل ان الاغنية رصدت حشد العواطف والاحاسيس ، والحماسات ، وولفتها في سباق من الولاء للقائد ، والحفز نحو الفداء للوطن والدفاع عن قدسية ارضه بشكل عبر عن السليقة المقرونة بالعضوية والصدق ، والاصالة . ولهذا فان القصيدة التي انجزت باللغة الفصيحة جاءت قريبة من هذا النهج في غنائيتها ، بعيدة عنه قليلا في افكارها خصوصا . ان جيلا من الشعراء الشباب ممن يحملون راية الكتابة للطفل باختصاص كامل . وبشكل خاص لاطفال الحرب الذين صنعتهم المرحلة بكل خواصها السياسية والفكرية والتاريخية . والشاعر عبدالرزاق جبار الربيعي وهو صوت واعد . اهتم بالقصيدة الغنائية واستثمر بشكل محدود الغناء الشعبي . ورغم انه يحتاج الى الكثير من الصبر والتأني عند كتابة قصيدته . الا انه استطاع ان يثبت قدرة مشخصة ايجابيا للكتابة ، يقول في قصيدته « الشهيد » :-

مضى مع الصباح
معطر الجراح
كغيمة بيضاء
مضى الى السماء
قال ابنه الصغير
للعشب والغدير

ادى أبي الرسالة وبعدها
استشهد في بسالة

اننا يمكن ان نسجل تحفظا على العشب والغدير . على انهما ضرورة شعرية . جعلت الشاعر مقسورا على هذا الاستعمال . الا ان الكثير من قصائده اجتازت محنة التدريب الى مثابرة الوفاء لاتقان الكتابة الشعرية للاطفال .

والشاعر خُيون دواي الفهد شاعر من طراز خاص نشأ في ظل الحرب يكتب قصائده بالعشرات . لكنه ينجح في بضعة قصائد بعدد اصابع اليد . هي جهد شعري جعله واحدا من ابرز كتاب قصيدة الطفل خلال معارك قادسية صدام .

« قلت أبي أعظم
وانه أكرم
لأنه روّى ترابنا بالدم »

ويكاد شعراء الاطفال ان يجمعوا من قيمة الشهادة مضمونا اولى بالاهمية لانه ، حسب القصائد التي نشرت طوال السنوات الماضية يلخص قيمتي البطولة والفداء معا . اما القصائد الغنائية التي ضمنت النصر في صورة الحياة فهي مفردة اخرى وضعها الشعراء قيد الكتابة .

يقول الشاعر جليل خزعل ، وهو شاعر آخر من المجموعة ذاتها :ـ

رسمت شمساً حلوة
وعاملاً في المعمل
قلت لبالوني آرتفع
غنِّ مع الطيور
عن فرحة الأطفال
في عراقنا المنصور

ويشترك الشعراء . عبدالحكيم امين . حسن دكسن . شاكر حمودي . وحسن عبدالنبي وجواد الحطاب وكريم العراقي وآخرون في القصيدة الغنائية بما تعطيه من تنوع وغنى للتعبير عن لقطات من الحرب ، والحياة واللعب في صورة من صور الحياة الجديدة . ولقد استطاع هؤلاء الشعراء الشباب ومعظمهم من المقاتلين ان يربطوا شعر الاطفال بحياة الجنود داخل الخنادق وميادين تواجد الاطفال بشكل تربوي سليم .

ومن القيم البارزة ، بشكل بات . قيمة حب القائد باعتباره الرمز والقائد والاب . وربما كان الشعراء الشباب ، بسبب حذرهم في التجربة الشعرية ، يترددون في التعبير خشية القصور في استلهام القيم او التعبير عنها من خلال تمثل او رسم صورة القائد ومكانته . وقد قام الشاعر عبدالرزاق عبدالواحد بدور قيم في هذا المجال حين كتب قصائده للاطفال . تلك التي ترسم

صورة القائد :ـ

« باسمك ياحبيبنا سنرفع الأعلام
وفي هواك كلنا سننشد الأنغام
صدام ياقائدنا سلمت ياصدام
شمس العراق اشرقت في هذه الأيّام »

أو هات الدفتر والاقلام
كى نرسم صورة صدام

او كما يكتب الشاعر عادل الشرقي ، الذي اسهم بشكل غير متواصل في كتابة قصيدة الطفل . غير انه جسد قيمة حب القائد :ـ

« قائدنا همام رفيقنا صدام
مناضل صنديد وفارس عنيد
يزورنا مثل الأب محمّلاً باللُعَب
قلوبنا تهواه لانرتضي سواه
يقودنا للشمس في زفّةٍ وعرسِ
بوركت ياقائدنا ، يامن أعدت مجدنا »

ولعل في مايكتب وينشر في صحافة الاطفال الوطنية وكتب الاطفال من اعمال لتمثل خير نموذج يصلح في ميادين دراسة المضمون ، والقيم ، والقيم الفنية والتربوية . لكنها جميعا نماذج شعرية متقدمة لشعراء اتقنوا صنعة الشعر في ظل الانتصار .

الفصل الثالث
الطفل والمكان

الفصل الثالث
الطفل والمكان

مقدمة اولى

وحدوا صفوفكم حول الحقيقة
فالحقيقة واحدة.

الفارابي

هل البحث شيء يقع خارج منطقة الباحث ؟ اي هل ان الكتابة على هذا النحو من الرؤية والاستنتاج والمنهج

الذي يتطلبه البحث عادة ـ هي كتابة تقع في المدى الموضوعي الذي يسقط حق الباحث الشخصي في ان يقول في بحثه خصوصيات كشوفاته ، ويكتفي بان يجعل من بحثه نمطا يعيد الاشياء ويكررها بايقاع رتيب ، ويعيد تصفيفها على طاولة القارىء كما فعل الاسلاف ؟

انني اتساءل ، وانا اقرر ان اعيد النظر بجمهرة القراء والمربين ، وكتاب الاطفال ، والباحثين ، والمفكرين ، والسياسيين متأملا مقدار الحقيقة في دورهم الذي يؤدونه في الحياة . انني اتأمل في الشخصية العربية اليوم ، النكران ، والضدية ، والمكابرة ، والازدواج ، ومقدار اللغة والانشاء ، ومجافاة الاحصاء ، واعتماد المعمار اللغوي والابتعاد عن التقنيات الحديثة ، وارى ان اعيد النظر في اهلية وصدق الحقائق التي يبثها امامنا كتاب وباحثون وخطباء ومفكرون احترفوا اللغة وصاروا من غلاة الكتابة على حساب الحقيقة . ترى من يقول لي الحقيقة ؟

انني احاول ان اسجل ملاحظات العمر والتجربة وهما منهجان اقترحهما لنفسي ، وانا اسجل اضرابا من السلوك والانفعالات والعلاقات ، والاحداث ، محاولا الخروج بحقيقة ما، حقيقة المدينة اليوم ..

.. المكان الذي يشمل اللامكان .. وهما اطاران لصورة الطفل .

مقدمة ثانية

المواقع التراجيدية العظمى ارض قاحلة مضغوطة بين البحر والصحراء

راسين

اذا كانت العمارة هي علم وفن البناء ، فان المكان هو الكتلة التي تجعل عنصر العلم والفن ، عنصرين فاعلين في فكر المستعمل ـ الساكن .. الانسان الذي يشكل هدف العمارة . وبالتالي ، مضمون المدينة . وان الوظائف التي يقوم المكان بتنظيمها، من خلال اتساق اجزائه وعلاقاتها، هي الوظائف التي تتحكم بالتوجه السيكولوجـي وبالانتماء الى المكان .. بل ان « المدن تورث اهلها الاخلاق » كما يرى الفارابي ..

المدينة العربية اليوم ، صورة للهامشية ، والصدفة والتنافر وهي غالبا، مدينة تنطوي على اخطاء معمارية وبالتالي اخطاء تاريخية في بناء الانسان الذي يشكل قيمة المدينة ، وتاريخها ويسجل اهميتها، واذا كانت المدن العربية .. تخطط على نحو من الغرابة فكيف سيكون الساكن غدا. طفل اليوم .

انني في هذه الدراسة ، لا اطرح استنتاجات نهائية بل اعرض اطارا عاما لصورة المدينة وايقاعها واثرها في تكوين اطفالنا اليوم .. وغدا.

ان هذه الدراسة ، تعتمد الملاحظة ، وتحاول ان تبتكر قانونها البحثي من خلال تراجيديا المكان وساكنيه ..
يختار الباحث ، او الدارس ، اسانيده ، ومرتكزات بحثه وفق منهج ما، وهنا، اضع بضعة اختيارات سوف ينظر لها الاكاديميون بغضب ، ويتجاهلها التربويون بقصد ، لانها ليست اختيارات نظرية من بياجيه اوغوستاف يونغ ، او من رواد الاتصال والمعلوماتية والعمارة انني اختارها من بيئة مكتبية ، سوف يجد لها القارىء مكاناً في البحث ، ولاني لا اراهن على ذلك ، فاني اضع امامكم هذه المختارات ، ولكم ان تقرروا جدواها.

جلجامش

بنىٰ أسوار أوروك المحصنة .
وحرم (أي ـ أنا) المقدس والمعبد الطاهر .
فانظر إلى سوره الخارجي تجد أفاريز تتألق كالنحاس .
وآمسك اسلحته الحجرية الموجودة منذ القدم .
اقترب من مسكن عشتار
الذي لايماثله صنع ملك من الآتين ... ولا انسان .
أعلِ فوق أسوار أوروك وأمشِ عليها متأملاً تفحص .
أسس قواعدها وأجر بنائها .
أفليس بناؤها بالآجر المفخور .
وهلّا وضع الحكماء السبعة أسسها .

«ملحمة جلجامش»
١٩٧٥

● البيت هو ركننا في العالم .
● البيت هو واحد من اهم العوامل التي تدمج افكار وذكريات واحلام الانسانية .

جاستون باشلار

● بلوغ السعادة انما يكون بزوال الشرور عن المدن .. والامم

الفارابي

● ان تكون طليعيا معناه ان تعرف ماالموت .

رولان بارت

● الطفل يرى الاشياء المادية من حوله ويسمع اصوات بعضها ويشم روائح بعضها في الوقت الذي يسمع فيه اسماءها من الكبار المحيطين به فتنشأ عنده المدركات الحسية مقرونة باسمائها.

اللغة والفكر

د. نوري جعفر

العراق

● ان اعباء الدور الثقافي لايقع وحده على كاهل العاصمة ، انما على حواضر الاقاليم والمحافظات .

راهات نابي خان

الهند

● رجل واحد لايستطيع ان يبني بيتا، ولكن في مقدور مائة رجل بناء مائة بيت ببساطة . والفلاحون لايتحدثون عن الفن ، انهم يصنعونه .

المعمار حسن فتحي

مصر

انه بالتأكيد الريف نفسه.بيت اهلي الريفي نفسه ، الغرفة نفسها حيث اعالي الابواب حظائر ملونة بالصهبة باسلحة وبأسود .

آرثر رامبو

المجتمع كله يعلم افراده ان املهم الوحيد في الخلاص داخل النظام الاجتماعي الثابت يكمن في محاولة عبثية يائسة للتحرر من هذا النظام .

ليفي شتراوس

خرائب فأنزع الأبواب عنها تغدو أطلالا .
فوال قد تصك الريح نافذة فتشرعها الى الصبح .
تطل عليك منها عين بوم دائب النواح .
وسلمها المحطم ، مثل برج دائر ، مالأينن إذا .
اتته الريح تصعده الى السطح .
سفين تعرك الأمواج الواحه .

منزل الاقنان ـ بدر شاكر السياب

جمهور الاطفال

الدراسات التي وقعت بين ايدينا خلال عقدين ونصف من الزمان ، كانت تعرّف جمهور الاطفال على انهم مجموعة المراحل العمرية التي تشكل الطفولة المبكرة ، والطفولة الوسطى ، والطفولة المتأخرة وهو تعريف ، يقصد توزيع الاعمار الى اطفال ماقبل المدرسة ، اطفال المرحلة الابتدائية ، اطفال ماقبل المراهقة وهي غالبا اعمار تقع بين ٢ ـ ٦ سنوات و ٦ ـ ١٢ سنة و ١٢ ـ ١٤او ١٦ سنة . وتعرف تلك الدراسات هؤلاء بانهم اطفال سحريون ، يحفظون سلم القيم الاجتماعية ، ويحافظون على الاموال العامة ، ويتحلون بالصدق ويتمتعون بحلو المظهر ، واللطافة ، والكياسة وهم جمهور متلقي ، يتعلم من الكبار ، ويحترمهم ويعطف على الصغار ، ويساعد المحتاجين ، بل هم نتاج توجيهاتنا نحن البالغين ، ورواد اخلاقياتنا ومنفذي ارادتنا.

انهم ، حسب ذلك التعريف ، جمهور مستلب ، متمثل ايجابيا ـ لارادة المجتمع والمدرسة ، اي لقانون الكبار ، يقول جورج اورويل في روايته ١٩٨٤ « سوف نعصرك حتى تفرغ ، ونملأك بنفوسنا » او « الانسان الحر هو الوحيد المغلوب على امره » ...

انهم حسب ماتقدم ، جمهور من الاطفال ، يفتقدون الى الاختيار بسبب حاجتهم المطلقة والنهائية الى مايفرغه الكبار في رؤوسهم ويهمسونه في اذانهم .

ربما.. كان ذلك ممكنا من قبل . فلقد كان الطفل كيانا تابعا وثانويا.. وهو مخلوق وئيد ، لايمتلك الارادة ويفتقد

ابسط قواعد الوعي حسب تلك النظرية ، ولكن الى اي مدى اليوم يصح ان نطلق التسمية على جمهور الاطفال اي الى اي مدى من الدقة يصح استعمال هذا الاصطلاح « جمهور الاطفال » اليوم ؟ . انه السؤال الذي ينبغي النظر اليه بكثير من الموضوعية .

لقد حصلت الثورة الطلابية عام ١٩٦٨ في فرنسا وقد اطلق شرارتها طلاب المدارس ، صبيان ، ومراهقون واطفال وكان (جمهور الاطفال) في اوربا يصرخ ، ايها المدرسون ارفعوا اياديكم عنا ورغم ان موقف الادارة والقانون يومها كان ضد كل ماكان هؤلاء الاطفال يطرحونه يومذاك الا ان اخلاقيات التعامل التربوي داخل المؤسسة التعليمية والتربوية وداخل المؤسسة الاجتماعية قد تغيرت بدرجة كافية كادت معه المدارس ان تفقد سلطتها لولا ، دور العلم وقانونه الاجتماعي وكاد المربي ان يفقد سيطرته لولا بعض قيم الحياة هناك اذا لم يكن قد افتقدها تماما. ويلاحظ في فقدان سيطرة المعلم على تلاميذه والمدرسة على طلابها، والاب على اسرته ، وذلك وفق سلوكيات ، وقيم ، وقناعات ، تحولت الى اتساق من التعامل ، داخل المجتمع الاوربي ، منذ تلك الشرارة التي اطلقها اطفال المدارس .. والشباب حتى اليوم . واذا كان يحلو للبعض ان يلبس تلك الاحداث لبوسا سياسيا، فانها قد خلقت تغيرا كاملا في موقع الاطفال داخل المجتمع .

اذن ان اقتراحنا هنا يقضي بتغير هذا المفهوم اي مفهوم اعتبار الاطفال جمهورا ملحقا بالمجتمع . والنظر

الى الاطفال على انهم قاعدة شعبية هامة ومؤثرة تستطيع اليوم ان تغير الكثير .

ان شعوب العالم الثالث ، يكون الاطفال فيها بنسبة تزيد على ٤٣٪ الى ٤٧٪ اي ان دولا عديدة تتكون شعوبها من قاعدة عريضة من الاطفال .. وان الزيادات المتوقعة حتى عام ٢٠٠٠ و ٢٠٢٥ ترى ان الزيادة السكانية تتجه بشكل تصاعدي من ٢٪ الى ٣٪ ويزيد .. وسيشهد الوطن العربي زيادة سكانية كبيرة في عدد من دوا المشرق العربي ، والمغرب العربي فاذا كان الرقم الديموغرافي للوطن العربي عام ٢٠٠٠ هو ٢٨٠ مليونا، فهذا يعني ان نسبة الاطفال تتجاوز النصف ، وان المتغيرات الذاتية والموضوعية سوف تجعل الامر مختلفا تماما فهل يبدو واقعنا العربي مهيئا لصدمة الغد ...

وهل تستوعب المؤسسات الاجتماعية ، والثقافية ... اطفالنا غدا داخل المدينة العربية ؟

المدنية : المدينة

في ملاحظة دقيقة للمدينة العربية اليوم نكتشف اخطاء كبيرة يرتكبها المخطط المدني والمنفذ والمخطط الاجتماعي ايضا، فالمدينة وهي غالبا كيانات معمارية يتم اختيار مكانها عشوائيا بسبب ضغوط الزيادات السكانية ، والسياسات الاسكانية الاعتباطية ، تغفل مكانة الطفل بسبب النظرة التبعية او اعتبار اماكن لعب الاطفال ولهوهم اماكن كمالية في البناء ورغم ذلك فان المخطط غالبا، يترك افضية داخل الوحدات السكانية ، تتسع باتساع حجم البناء ، وتتحدد بالنسب السكانية وتوقعات عدد الاطفال وحاجاتهم . ولكن ، المنفذ ، يرتكب خطأً كبيرا، عندما يترك تلك المساحات المفتوحة دونما مشروعات حقيقية للطفل . وهنا يستغل المراهقون ، والشباب تلك المساحات في تحويلها الى ملاعب لكرة القدم ... واضرابها فيما يحرم الطفل من التمتع بفسحة المنزل وهنا، يظهر مايسمى بالصراع المزدوج . اي ان الطفل ، غير مسموح له من استغلال الافضية المتروكة بين الكتل المعمارية المكونة للمدينة او الضاحية ، كما انه غير مسموح له باستعمال باحة الدار او الحديقة ، او الافضية الممكنة داخل الدار . وهكذا يلقى بكم كبير من الاطفال الى الشارع ، حيث مساحات هائلة من الاسفلت ، والارصفة الكونكريتية ، والتجمعات الطفولية من مختلف الاعمار ، والاتجاهات لتبدأ رحلة جديدة .

انها رحلة يمكن ان نطلق عليها رحلة الصراع بين الوسائل وبين الغايات . فبعد ان يحرم الطفل من

الاختيارين السالفي الذكر فانه يتوجه الى البيئة المحيطة لتنفيذ غاياته ، وتسريب حيوياته والتعبير عن ذاته وهكذا وهو يرى في الشارع المكان الذي يستوعب ذاته ووجدانه فانه يتحول الى مخلوق مختلف ، اي مخلوق يتقن فن تفتيت البيئة ، وتخريبها مقابل متعة الاكتشاف اذا لم تكن متعة التحدي ، والبطولة وهكذا تكون الاسيجة والحدائق ، والاشجار والاضوية ، وبعض الممتلكات العامة عرضة لتلك القوة الطفولية الخارقة على التفتيت . والتخريب والهدم . وهكذا يتحول الطفل من مركب البيئة الى مخرب لها فهو لايحس بمعنى كتلتها او قيمتها الفنية او وظيفتها. ان كل شيء مباح لقوة جديدة هي قوة الاطفال امام اللامكان ..

قمع الوجدان

ان البناء العشوائي ، للمدن ، والضواحي ومؤسسات الخدمات .. والفضاءات المفتوحة قد شكلت عبئا خدميا كبيرا امام الزخم السكاني والزيادة في عدد الاطفال والولادات ، والهجرة الدائمة امام ضغوط الحياة وعوامل البيئة السكانية الضاغطة داخل المكان ، تفقد الطفل بناء الوجدان .

والوجدان ، بتعبير بسيط هو (الذات) هو الشخصية ، ومميزاتها، هواياتها، وتوجهاتها الفنية .. والثقافية ، هو مميزاتها الشخصية ولكن هل حققت المدينة العربية قدرا من مؤهلات تربية الوجدان واعداد الاطفال وذوقهم الفني ، ان ذلك هو السؤال ؟

ان افتقاد الطفل لاستقلاليته ولمكان لعبه وسكنه وبسبب الصراع المزدوج بين البالغين وهيمنتهم وبين القمع العائلي ، تحيل دون انماء الذائقة . بل انها توقف الاحساس بالاشياء ، كتلتها ووظيفتها تناغمها، او توازنها.. والسبب هو ان الطفل لم يحقق ايا من اختياراته :

١ ـ لعبه ـ موسيقاه
٢ ـ هواياته ـ واهتماماته الثقافية
٣ ـ دخله الخاص
٤ ـ صداقاته ـ وعلاقاته الاجتماعية
٥ ـ حريته في التعبير
٦ ـ ارادته باعتباره عنصرا متكاملا .

وهكذا ينشأ وجدان آخر ، هو الوجدان الجماعي

الذي يتسم بالعدوانية والسخرية واقتحام عالم الكبار وتحديه .

بل ان ثمة (فكر) خاص و (لغة) خاصة تتكونان بفعل الاتصال الذي يتحقق في الشارع بين فئات عمرية مختلفة هي فئات مختلفة الانتماء ، مختلفة الوعي ... مختلفة الارادة ويمكن اجماع النتائج المترتبة على ذلك على هذا النحو : -

١ - ضدية واضحة ضد البيئة المعمارية وساكنيها.

٢ - ضدية واضحة لعالم الكبار وسلطتهم .

٣ - افتقاد الشعور بالنموذج ، المربي او الاستاذ او (البطل) اصطلاحا.

٤ - جهل كامل بالتاريخ ، والماضي ، وتبخيس لمعنى الريادة .. في الاخلاق والتجربة .. والفن .

٥ - تدني المستوى الذوقي والجمالي .

٦ - نمو النقد الضدي

٧ - الميل الى التحصيل البسيط والابتعاد عن فرص التعلم التخصصي

٨ - تجاهل الثقافة الاختيارية ودورها.

٩ - التماثل بين المراحل العمرية في السلوك والمظهر والقيم .

١٠ - شيوع مفردات ، وافكار ، هي نتاج اتصالية الشارع ..

١١ - الميل الى السهولة وحب المغامرة .

١٢ ـ التقليد والبطولة التي قد تعني في بعض معانيها الحرية ايضا.

وفي ظل هذا الوصف نتأمل نمو المدينة العربية واحياؤها وضواحيها ونتأمل الزيادة السكانية والهجرة والنسبة العالية التي يشكلها الاطفال والمراهقون في المجموع السكاني للمجموعة الساكنة ونضع كل ذلك امام قوة التوجيه التي تتخذ طابعا عالميا.

التوجيه والطفولة

الاطفال عالميون ؟ هكذا يردد المربون وهم كذلك في كل العالم . ولكن اليوم يختلف الامر بشكل كبير فقد اصبحت المؤسسات التعليمية ، والاجتماعية والثقافية والفنية مؤسسات صغرى امام شيوع البصريات والالكترونيات اي ان وسائل الاتصال الواسعة الانتشار ، والمعلوماتية قد جعلت علم التوجيه ، يفرغ المؤسسات تلك من دورها ويحولها الى اداة صغرى من ادواته فاصبح التوجيه عالميا بحيث يمكن ان نرى ان اطفال باريس ، والقاهرة ، والكويت واطفال نيويورك ، هم اطفال يتمتعون بمميزات مقاربة تقوم على نفس المميزات السالفة الى جانب الازياء والغناء والقيم والتحدي وافراغ عالم الكبار من قيمه ، وازدراء الماضي وتخريب القيمة الفنية للاشياء ، واستهلاك القيم الانسانية والاجتماعية وسحق المشاعر والعواطف بشكل يجعل الانسانية امام مستقبل مشوب بالخطر ، حقا ان المدينة التي اقامها الانسان لكي ينشأ عليها حضارته ، ويقيم عليها صرح فنونه وحياته الامنية تتحول اليوم شيئا فشيئا الى مصدر للفجيعة والمرارة فيما تنهار القيم ويصعب الامساك بالزمام ..

ربما يبدو هذا العرض اقل تفاؤلا ولكنه يعني حقيقة ان المكان الذي كان يشكل مصدر امانينا قد تحول الى عكس ذلك واذا لم تتنبه الجهات المخططة والمنفذة للاسكان ، واذا لم تتخذ السلطة التربوية ، والاجتماعية ، دورها فان الضحية لن يكون الوجدان .. والذوق بل ، سيكون الكيان الانساني العظيم عرضة للكثير ..

الفصل الرابع
تفكيك الصورة

الفصل الرابع
تفكيك الصورة

الرسم للاطفال
تفكيك الصورة وليس رسمها

مثل جوائز (غرامي) في الغناء
ومثل اوسكارات السينما
وجوائز الابداع المعروفة ،
يمنح كتاب الاطفال جوائز لاعمالهم الموجهة للصغار
مثل جائزة كارنيجي في انكلترا ، ولويس كارول في اميركا
وجائزة الدولة في الاتحاد السوفيتي
واهم كل تلك الجوائز هي جائزة (هانز كرستيان اندرسن)
التي تقدمها الرابطة الدولية لكتب وادب الشباب كل عامين
وهناك حفنة من جوائز الرسامين الذين يتوجهون في رسومهم للصغار

تمنح كل عام في معارض ستـروغا ، وبـراغ ، وفرانكفورت ، وايطاليا
ولكن جائزة (نوما) المخصصة لرسامي الاطفال في العالم الثالث
تشكل اهم تلك الجوائز الدولية التي تقدم للرسامين.
من هم الاطفال ؟
ماهو الرسم ؟

ليس من المناسب ان نلهو بالاسئلة عندما تبرز امامنا قضية الطفولة ، فالاسئلة لم توصل حلا ، لان السؤال الابدي عن معنى (الطفولة) او (من هم الاطفال) سوف يجعل ايا منا عرضة للتباهي ليس باطفاله او اطفال بيئته ، بل بالطفل الذي في داخله .

فنحن المدركون مانزال لانمل التوصيف ، حيث يشغلنا ذلك الطفل الراكن في اعماق الذات المدركة ، بكل رغائبه العارمة ، ونزواته وافكاره الجنونية ، وهواجسه الابداعية .

ان طفلنا هو الطفل الذي يبتدىء الحياة منذ يومه الاول حتى يدرك الشباب وتلك وجهة نظر تصف الطفولة بهذه الطريقة الكلية عندما لايصح التفصيل . ورغم ان موضوعنا اقرب الى تناول الطفولات الثانية والثالثة الا انني ساخذ بالطريقة الاولى لان الرسم للاطفال هو قضيتنا اليوم ، يقول المربـون ، ومؤلفو المنـاهج والمحاضرون : ان الرسم للاطفال عملية (توضيحية

محضة) ليست لها ابعاد . ولاتنطوي على ضرورات فنية بالمعنى الجمالي .

انها محاولات ، او اجراءات للتصوير ، تساعد بقدر او بآخر على التوضيح ، لان الطفل يظل اسير جهله للجو الذي يضعه فيه النص ـ قصة كانت . او مقالة ـ وتساعده الصورة على ان يرى ماهو مكتوب ، باعتبار ان سليقة البصر تقود الطفل الى التعلم قبل الفعل .

حتى هذه الجملة . وانا الخص الفكرة السائدة ، في الكثير من المؤسسات التربوية في البلدان النامية . وعند الجيل الذي يقود الفكر التربوي في انحاء قصية من العالم الشرقي المليء بالغرائب .

غير ان مسابقة « نوما » قلبت الامر . فهي مسابقة ينظمها المركز الآسيوي للثقافة في طوكيو . وهو تشكيل شبه رسمي يتعاون مع اليونسكو في ميدان ثقافة قارة آسيا . وقد تأسست هذه المسابقة تكريما لاول رئيس للمنظمة « شويش نوما » منذ عام ١٩٧٨ ، لا لكي تشجع رسامي الدول الآسيوية النامية ، بل لكي تمثل حقيقة اخرى مختلفة عن الرسم للأطفال في هذه المنطقة من العالم .

تفكيك الصورة

لايتعاطى الطفل الصورة مفتوحة ، كما يقتضي النص . او تتطلب عملية التعليم وكثيرا مايتشدد التربويون في محاكمة الصور التوضيحية المرافقة للنصوص في مناهج التربية ، لكن الطفل في هذه العملية هو الخاسر ، فقد كان المطلوب دائما « نمطا » من التعريف بالموجودات ، والاشياء والبيئة ، من زاوية واحدة بينما يمثل الطفل ، خاصة فكره التحليلي التخيلي في عملية الفن ، او التشخيص ، يمثل رؤية مزدوجة للصور . الصورة ، كما هي ، كما نريدها نحن في كتاب « الدراسة » او القصة التقليدية . والصورة ، كما يريدها هو ، انه يحدق في المكونات الفعلية للصورة كما اوحتها له القصة ، او النص ، اي نص الا انه يعيد تركيب اجزائها كما يرى في صورتها الانسانية التي يريد ، لذلك ينطوي التفسير على الكثير من المخاطر عندما نقول ان الطفل (بصري) يريد العالم ، والبيئة كما هي ، ان قدرة الطفل على التفكيك والتركيب خصوصا في حركة الاشياء ، وامكانياتها الخفية التي ابتعدت عن فكرتنا ، نحن المدركين هي التي علمت الرسام اليوم ان يعطي الصورة الموجهة للطفل الوجه الاخر ، ويواكب النظرة المزدوجة أو التفكيكية للصورة .

تكنيك الصورة

الرسامون من اسيا وافريقيا والباسفيك والوطن العربي يسهمون منذ عام ١٩٧٨ في مسابقة (نوما) لرسوم الاطفال ، ولقد اعطى هؤلاء الرسامون رؤيا مبتكرة، تماما لفكرة الرسم ، رغم ان عددا كبيرا من اللوحات التي شاركت في المسابقة لم تفز بالجائزة بالمعنى الذي تقتضيه اجراءات التحكيم الا انها فازت في ابراز سوسيولوجيا الصورة كما يراها طفل المنطقة وهو الذي رسمت عنه صورة شائهة غير معبرة عن قيمته كاملة في حياة اليوم .

وبمنأى عن اي مدخل اجتماعي ، نرى ان الرسامين عبدالله مود الطيب من السودان . وزين الدين جميل من ماليزيا ، ويادش يوشمي من الهند ، قد جعلوا من مادة الرسم واستعمالاتها الى جانب الابعاد الموحية للصورة مادة لايصال ثنائية المعنى تاركين للطفل فسحة للرؤى . وقد علق المحكمون بكثير من الاهتمام على الرؤية الطفولية التي تنطوي على قدر من السوريالية في لوحة (اطفال الغابة) لعبدالله مود الطيب .

وقد فعل (اوسكار فيفوراشيون جر) من الفلبين ايحاء كبيرا في قصته الفائزة بطل ماكتان الصغير . ورغم ان الميل الى الكاريكاتير مايزال ممسكا بقناعة الكثيرين ممن

يرسمون للاطفال وهم غالبا رسامون لمؤسسات تجارية ـ الا ان التشكيل في لوحة الطفل اليوم اصبح قضية تربوية ، ونفسية في ميدان التعليم ، وقضية جمالية لها هدف خلق نقد التذوق ، وليس التذوق ذاته في ميدان الثقافة ، وهو ميدان اجتماعي اختياري يتعامل معه الطفل بكثير من الحرية والفردية .

الصورة عندنا

لم يمسك احد من رسامينا العرب باسلوبه . منذ ان تأسست المدرسة التصويرية التي نشأت في مصر اول الامر في اربعينات هذا القرن . غير ان تشكيلة من الرسامين مثل اللباد ، حلمي التوني ، هبة عنايات ، وبيكار ، ومحمد حاكم وعادل البطراوي ومنصور عموري ونوال عبود ونبيل تاج وعلي المندلاوي ومؤيد نعمة ورحيم ياسر وضياء الحجار ، وهي التشكيلة العربية من مختلف اقطار الوطن العربي التي مثلت اعمالها تحولات فنية تنطوي على تجريب مقنع للخروج وكسر الطوق مثلما حاول تلاميذ بيكار في مصر ـ اللباد التوني بهجت ـ قد حققوا نجاحا باهرا في ذلك وتشكيلة اخرى من فنانينا ومجموعة الرسامين من الجزائر ولبنان اعطوا اللوحة بعداً تشكيليا كما يمكن ملاحظة ذلك في قصص الاطفال المتوفرة اليوم ، غير ان القطيعة الاجتماعية بين الفن والبيئة الاجتماعية المحيطة ، وربما بيئة الطفل ما تزال تشكل الكثير من عوائق الرؤية التي يتطلبها الرسم للاطفال .

رغم ذلك فان ثمة رقما خرافيا من رسامي الاطفال في الوطن العربي ، والاقطار النامية يؤشر حالة من الوعي بدور (الصورة) اكبر بكثير مما يتخيله تربويو المؤسسة التقليدية . ان مواجهة بالحقائق مطلوبة الان والاّ فأن الطفل سيجتاز السياج ويفرغ النص وسيختار الصورة

المحتويات

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٩٠٨ لسنة ١٩٨٦

مطبعة سومر ـ بغداد ـ هاتف ٨٨٧٩٢٦٤

هذا الكتاب

بعد تجارب متنوعة .. في الكتابة الابداعية للاطفال ، يقدم فاروق سلوم في هذا الكتاب جزءا من مشروعه النظري انطلاقا من التجربة الابداعية . اي ان ما هو منشور من مقالات في هذا الكتاب لايمكن اعتباره مقياسا وصفيا لحالة الابداع فهو ينبثق نقديا من داخلها ليفككها ويعرض اسرارها ويتعرض لمجمل النزعات التعبيرية التي تتحكم بها .

فالكتابة للطفل تقترب من الانماط الكتابية الاخرى في كونها تقتحم عالما مجهولا ، غامضا متجددا متغيرا وهي في ذلك لاتركن الى نماذج ابداعية بذاتها بقدر ماتحاول ان تدخل سباقا داخل الزمن لتفرز قوتها باتجاه المتغيرات ..

لذلك فان تفحص الثوابت في عملية الكتابة للطفل وتكريسها نظريا لايعتبر عملا توثيقيا بقدر ما يشكل تماسا بها وتفحصا لعناصر قوتها واستمراريتها وذلك بهدف استجلاء الموقف الابداعي والغوص فيه .

في هذا الكتاب حاول فاروق سلوم ان ينطلق من الثوابت باتجاه المتغيرات مكرسا كل مايراه ايجابيا وقويا وخلاقا .

فاروق يوسف

الأخراج الفني اياد فائق

ثمن النسخة : ٣٠٠ فلس